## الفصل الأول

### مقدمات تعريفية

- **الآثار (Antiquity )**

تعني مخلفات الماضي مما صنعته يد الإنسان أو أنتجه فكره على مر العصور كالمباني والفنون والمعتقدات والافكار والاساطير والاشعار.

- **علم الآثار (Archaeology)**

علم الآثار بمفهومه الواسع هو دراسة ماضي الإنسان، ومخلفاته المادية والفكرية. فهو علم التحري عن الاصول المادية لحضارة الإنسان، ومن ثم فهو علم الوفاء للقديم والحرص على تتبع مسيرة التطور التي سلكتها الحضارة البشرية في عصورها الماضية عن طريق إستقراء الشواهد المادية من تراث هذه العصور وإستخلاص القيم الثقافية والعلمية والجمالية من كل ما أبدعته قرائح الإنسان وأحاسيسه وعلومه، ومن كل ما شكلته يده وآلاته تجسيداً لمعتقداته وفنونه في مختلف مناحيها الثابتة والمنقولة.

فعلم الآثار هو إذن إستعادة وفهم التاريخ الإنساني من خلال دراسة البقايا الطبيعية والحضارة المادية مثل العمارة والفخار والعظام والحُلي والاسلحة وغيرها. فهو العلم الذي يدرس ماضي الإنسان ويحلل مخلفاته، وهو دراسة للتوزيع السابق لآثار الثقافة في الزمان والمكان، ودراسة العوامل التي تحكم توزيعها.

- **الثقافة (Culture)**

هي مجموع ما لشعب من أفكار وتقاليد ونظم إجتماعية وسياسية ومثل عليا وفلسفة وعلوم وفنون وآداب وصناعات تهدف جميعها إلى تحقيق الخير للإنسان وزيادة رفاهية الحياة ومتعها، وبهذا يمكن تمييز الجماعات والشعوب المتحضرة عن الجماعات والشعوب المتأخرة، وإن كان ليس هناك حد فاصل بين الشعوب المتحضرة والشعوب في بداية حضارتها.

إن علم الآثار كجزء من علم الإنسان يهتم أولاً وأخيراً بدراسة ثقافة الإنسان القديم من تلك الجوانب من الثقافة التي في الامكان التوصل إلى معرفتها عبر الأزمان البعيدة وبالطبع فان نسبة البعد أو القرب في الزمن الذي يدرسه علم الآثار لها تأثير مباشر على نوع وإختلاف المادة الثقافية التي يتوصل لها العلم من خلال البحث.

إن وجود الإنسان ثقافياً وكذلك تاريخه الثقافي في نظر علماء الآثار يبدأ من اللحظة التي أستعمل فيها الإنسان أو صنع من مادة خام، أداة تعينه على مواجهة متطلبات الحياة الاساسية من معيشة أو إسكان أو أي نشاط بشري آخر.

إن ما يعثر عليه من مواد خلفها ذلك الإنسان الأول تكون أثراً دالاً على تجربته ومؤرخاً لعصره. وإن **البقايا المادية** التي يخلفها المستوطنون هي النقطة المركزية في إهتمام علماء

الآثار، وتشكل الأشياء المادية المدركة بالحواس، والمصنوعة من الحجارة والاخشاب والعظام والمعادن...الخ، جسم البنية الآثارية، باعتبارها وسيلة التوصل إلى فهم ثقافات محددة وإدراكها وفقاً للأطر التي تسمح بها البيئة، وهي تسهم في النهاية في فهم السلوك الإنساني عموماً.

تشكل **البقايا الحجرية** أبرز مخلفات الإنسان في العصور القديمة، ومنها جاءت التسمية، وهي تشغل حيزاً زمنياً طويلاً يشكل حوالي ٩٩٪ من حياة الإنسان على الأرض، أي منذ أن أصبح الإنسان صانعاً للآلة على الأقل. أما المراحل الممتدة بين نهاية هذه العصور وعصرنا الحاضر، فتكون هي الواحد بالمائة الباقية. ونظراً لطول عصور(**ما قبل التاريخ= Prehistory**) فقد قسمها الباحثون والمختصون بدراستها إلى ثلاثة عصور، كلٌ منها يقسم بدوره إلى عصور ثانوية، وتم هذا التقسيم وفقاً لطرق صنع الآلات والمواد الأثرية، وخصوصاً الآلات الحجرية والأواني الفخارية، وحسب الترتيب الآتي :

**أولاً : العصر الحجري القديم . Paleolithic.**

يشغل المدة من حوالي ٢ مليون ونصف المليون سنة من الآن، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة عصور هي :

١ – **العصر الحجري القديم الأدنى. Lower Paleolithic** . يؤرخ من حوالي مليونين ونصف المليون حتى ١٠٠,٠٠٠ سنة. وفي المدة من حوالي ٥٠٠,٠٠٠– ١٠٠,٠٠٠ ق.م، عاشت أقدم ثلاث أنواع من البشر في بلاد الرافدين. ويعتبر موقع **المصنع** على نهر الفرات في منطقة حديثة أقدم موقع يقدم أدلة وجود عن الوجود البشري في بلاد الرافدين.

٢– **العصر الحجري القديم الأوسط. Middle Paleolithic.** يؤرخ من حوالي ١٠٠,٠٠٠– ٤٠,٠٠٠ سنة من الآن. وانتشرت فيه المواقع عبر أنحاء بلاد الرافدين وإن كانت المنقبة منها قليلة مثل كهف شانيدار وموقع هزار مرد في شمال شرق العراق. وفيها ظهر إنسان النياندرتال في حدود ٦٠,٠٠٠ سنة من الآن.

٣ –**العصر الحجري القديم الأعلى. Upper Paleolithic.** يؤرخ من حوالي ٤٠,٠٠٠– ١٠,٠٠٠ سنة من الآن. ويعتبر موقع بردا بلكا في شمال من أول المواقع التي تسجل أقدم مراحل سكنى الإنسان في شمال بلاد وادي الرافدين من هذا العصر، فضلاً عن مواقع أخرى منها الطبقة **س** و **د** في كهف شانيدار وكاوري خان في سهل جمجمال، وبالي كورا.

**ثانياً : العصر الحجري الوسيط . Mesolithic.** وهو مرحلة إنتقالية بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، ويطلق عليه الآن أسم (العصر الحجري الانتقالي Epipalaeolithic ). ويؤرخ من حوالي ١٣,٠٠٠ ق.م. وفيه ظهرت طلائع المزارعين وبصحبتهم قطعان الحيوانات المستأنسة.

ويعرف في بلاد وادي الرافدين باسم العصر **(الزرزي)** ووجدت آثاره في مجموعة من المخيمات أو ملاجيء الصيد والجمع مثل موقع زرزي وبالي كورا جبال زاكروس، كما عرف هذا العصر باسم العصر **(الميكروليثي)** لانتشار آلاته الحجرية الدقيقة.

عاش الإنسان في العصور الحجرية القديمة في الغالب في العراء وأستغل الكهوف الطبيعية والملاجيء الصخرية للإحتماء بها من قسوة البيئة الطبيعية والحيوانات المفترسة. فالكهف هو مأوى طبيعي حيث لا توجد جدران ولا أي شكل من أشكال البناء.

**ثالثاً : العصر الحجري الحديث : Neolithic.**

يؤرخ من حوالي٩٠٠٠ ق.م. وفيه ذهبت المجتمعات البشرية في الشرق الأدنى إلى سلسلة من التحولات الاساسية، حيث تغير نمط حياة المجتمعات المتحركة من الصيد وجمع القوت إلى حياة الاستقرار الكامل في الزراعة وتربية الحيوانات. ويوصف هذا العصر بأنه عصر تقدم، إذ نشأت فيه العديد من التطورات التقنية والاقتصادية وكذلك الاجتماعية. وكانت العمارة إحدى السمات الجديدة، فهي كمقابل للمأوى البسيط الذي وفرته الملاجيء، أصبحت تدخل في تكوين وتركيب أنواع جديدة من المجتمعات.

يقسم العصر الحجري الحديث إلى مرحلتين أساسيتين هما :

١- العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار **(Pre- Pottery Neolithic=PPN)**

ويقسم إلى عصرين هما :

أ- العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أ **(Pre- Pottery Neolithic A= PPNA)** ، يؤرخ من حوالي (٩٠٠٠-٧٦٠٠ ق.م) يمثله في العراق مواقع نمريك وقرمز درة وغيرها.

ب-العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب **(Pre- Pottery Neolithic B= PPNB)** ويؤرخ من حوالي ( ٧٦٠٠-٦٠٠٠ ق.م). يمثله في العراق مواقع المغزلية وجرمو وغيرها.

٢- العصر الحجري الفخاري **(Pottery Neolithic=PN)** ويؤرخ من من حوالي (٦٠٠٠-٥٠٠٠ ق.م). تقليدياً كان تعاقب حضارات ما قبل التاريخ في شمال بلاد وادي الرافدين في هذا العصر وفق الترتيب المتعارف عليه للثلاثي الحضاري الكلاسيكي، **حسونة، سامراء وحلف**، وهو تعاقب وضع في القرن الماضي ولا يزال معمولاً به إلى الآن. ويشير بعض الباحثين إلى دور حضاري فخاري مميز يسبق الأدوار الثلاث التي أشرنا إليها أعلاه، عرف بحضارة **ما قبل حسونة** مثلته مجموعة من المواقع منها أم الدباغية وتل سوتو وكول تبة وتلول الثلاثات في شمال العراق.

- **الاستقرار**

أطلق على عملية إستقرار الإنسان في مراحلها الأولى تسمية (التغير الحاسم في حياة الإنسان)، فمن بين نقاط التحول الكثيرة في التاريخ الإنساني كان هذا هو التطور الأهم في وجود الجنس البشري، وقد يكون هذا هو الحدث الأهم في فترات عصور ما قبل التاريخ التي عاشها الإنسان، والثورة الحاسمة في حياة البشرية بعد ما يقارب المليونين ونصف المليون من التطورات الثقافية. ومن بين أشياء أخرى، فقد وصفت هذه العملية بكونها سلسلة من التغييرات الأكثر دراماتيكية التي شهدتها المجتمعات الإنسانية بعد تفوق النار.

إذن فقد شكل الاستقرار ضرورة ملحة للإنسان من أجل إيجاد ملجأ دائم له. ويمكن تعريف الاستقرار على أنه البقاء في موضع واحد طوال العام، ومن الواضح أن الاستقرار يمكن أن يخلق (موقف عملي) من الحياة، فهو يعزز الامتلاك، وإمتلاك الاشياء يعني التردد في التحرك وترك الممتلكات الخاصة. وقد كان له دور في إزدياد حجم المجموعات، من خلال إزدياد خصب المرأة وقلة الوفيات. إن كبر حجم المجموعة يشجع على العزوف عن التنقل، وفي زيادة الترابط الاجتماعي.

- **المستوطنات**

المستوطن هو بقعة من الأرض ترتبط بها مجموعة بشرية وتهتم بإعمارها وتنظيمها وفق لإمكانياتها وقدراتها وتطورها الحضاري. لقد قضى الإنسان ملايين السنين بحثاً عن حياة الاستقرار، وقد وصف أحد الباحثين الأمر قائلاً :« لو أتيحت لنا الفرصة للتفكير بالامتداد الزمني الكلي للوجود الإنساني على وفق تقديراتنا الزمنية الحالية، فسنقول أن الزراعة قد تمت عند الساعة ١١:٥٥ مساءاً والحضارة جاءت عند الساعة ١١:٥٧. وعلى أساس هذه الامتدادات الزمنية، تبين أن ٩٠ ٪ من الزمن عاشه الإنسان صياداً ملتقطاً للنباتات».

فالجماعات البشرية التي تعتاش بصورة رئيسة على الموارد المتأتية من الصيد والالتقاط كانت ترتبط مكانياً ببقعة واسعة من الأرض تتحرك فوقها بايقاعات موسمية بحثاً عن الطرائد من الحيوانات أو متابعة للنباتات الموسمية مع التأكيد على وجود مدد زمنية تتوقف فيها نشاطات هذه المجاميع لأسابيع أو أشهر وتلجأ إلى مخابئها المشيدة من الحجر والاغصان أو غير ذلك لتتقي ربما برودة الشتاء وقسوة الظروف المناخية. لقد تم التحقق من وجود مثل هذه المواقع والمخيمات (المعسكرات) طويلة الأمد مثل موقع بردا بلكا في شمال العراق.

كانت هذه المخيمات عبارة عن مخيمات موسمية صغيرة تقع في كهوف المناطق الجبلية النائية في المراحل الأولى بعضها بقطر ١٢–٢٥ م وبمساحة لا تزيد عن ٦٠٠ م مربع، كما في كهوف زرزي وهزار مرد وشانيدار في شمال العراق. ثم بدأت تدريجياً بالإنتشار إلى مناطق مفتوحة في السهول السفلى وكانت ايضاً صغيرة وموسمية، ويشك بأن أي واحد منها كان مأهولاً

طوال السنة أو على الأقل من قبل جميع سكانها، سكنت هذه المستوطنات من قبل مجموعات صغيرة من السكان كما في موقع كريم شهر وزاوي جمة. وقد شكلت هذه المخيمات ما عرف بمرحلة ما قبل السكني في القرى.

وبحدود ١٢,٠٠٠ ق.م إنتهت الحقبة الجليدية المسماة «البلايستوسين» وبدأ عصر جديد أو حقبة الدفء النسبي الجديدة المعروفة ب« الهولوسين»، وفيها شهدت المجتمعات البشرية سلسلة من تحولات جديدة تغيرت فيها حياة الإنسان بعد آلاف السنين من التنقل إلى نمط جديد من الحياة المستقرة مارس فيها الإنسان الزراعة وتربية الحيوان وهي العملية التي أطلق عليها الباحث الاسترالي جوردن تشايلد تسمية **ثورة العصر الحجري الحديث.**

ومع مطلع العصر الحجري ما قبل الفخار بحدود( ٩٠٠٠-٦٠٠٠ ق.م) يتغير حال الاستيطان قليلاً عن الفترة السابقة، فقد حصلت تغييرات تدريجية في بنية المستوطنات وظهرت تطورات إقتصادية وإجتماعية وإيدلوجية وعمارية. وتراوح حجم المستوطنات الأقدم في هذا العصر بين ٠,٥ إلى ١ هكتار مع عدد سكان لا يتجاوز بضعة عشرات كما في قرمز درة وجننج (Ginng) في شمال العراق.

ثم توسعت في المرحلة الثانية حتى وصلت إلى حوالي ٢ هكتار كما في موقع نمريك. تقع هذه المستوطنات في المناطق المفتوحة في سفوح الجبال والتلال والسهول القريبة وعلى ضفاف الأنهار الكبيرة دجلة والفرات وروافدهما.

وإزداد حجم المستوطنات في العصر الحجري الحديث الفخاري (٦٠٠٠- ٥٠٠٠ ق.م) وزادت أعدادها وانتشرت في مناطق لم تسكن من قبل، ربما تكونت نتيجة زيادة عدد السكان وإنفصال مجموعة منهم نتيجة التنافس على الموارد الطبيعية، مثل موقع حسونة ويارم (٢,٥ هكتار). أعتمد سكان هذه المستوطنات على نظام إقتصادي متنوع كانت الزراعة هي الأساس فضلاً عن رعي الحيوانات المدجنة وصيد البرية منها، وكانت المواد الفخارية هي المجموعة الأبرز ضمن المخلفات الحضارية لهذه المجتمعات.

- **العمارة**

تعني عملية إعمار البيئة واستخدام المكان لخلق وتشجيع النشاط الاجتماعي. ودراسة العمارة لا يجب أن تتضمن فقط أشكال وعناصر البناء ولكن يجب أن تتضمن ايضاً كيفية إستخدام المكان (الاماكن المغلقة والمفتوحة).

والعمارة هي الشكل الأول من أشكال الفنون التي يمكن أن نتلمس فيها تسلسلاً متطوراً في العراق القديم. وامتازت حركة التطور المعماري في العراق القديم بتفاعل كامل بين المادة الأولية التي تصنع منها المواد الانشائية وبين طبيعة البيئة والمناخ اللذين يحيطان بالمنشآت العمارية.

عموماً إن للعمارة في الشرق الأدنى تاريخ واسع، يغطي مدة طويلة تمتد من الألف العاشر قبل الميلاد وحتى غزو الاسكندر المقدوني في حدود ٣٣٠ ق.م. وبالرغم من هذا التاريخ الواسع والطويل إلا أن المباني والمنشآت الأخرى قلما بقيت كاملة بأي شكل من الاشكال. فبعضها حفظ بشكل جيد ربما نتيجة التدمير المفاجيء. لكن غالباً مايجد الآثاريون فقط المخططات الأرضية، أو الأجزاء السفلى من الجدران، أو الأرضيات والأسس. والطوابق الأخرى والسقوف في أغلب الحالات لم توجد في أماكنها الاصلية، لكن يمكن أن تستقرأ من الأدلة الأخرى مثل سمك الجدران، بقايا السلالم، مواد السقف المتساقطة، تراكم القطع الأثرية، والجدران المنهارة التي تملأ المكان.

ومع ذلك ومن خلال المخطط الأرضي ومواد وأساليب البناء ومحتويات المباني، فإن الآثاريين غالبا ما حصلوا على أفكار مقنعة حول علاقة هذه العناصر مع المباني المتعاصرة من نفس الموقع أو المواقع الأخرى، حول وظيفتها المحتملة والاحتمالات لما يمكن أن يكون عليه وجودها أو مظهرها الأصلي.

- **مواد البناء الأساسية**

يتأثر قيام العمارة تأثراً مباشراً بالطاقات الكامنة في البيئة الطبيعة، والتي من أهمها تلك الطاقات الكامنة في الموقع الجغرافي وبالذات في التربة. لقد إختار الفلاحون في عصور ما قبل التاريخ مواد البناء حسب بيئهم الجغرافية. ومن المعروف أن المقومات البيئية الطبيعية والحضارية تسهم في تحديد الأنماط المفاهيمية للعمارة، كما أن تحول هذه الانماط إلى نماذج معمارية ذات خصائص معينة يتعلق بشكل مباشر بإمكانيات التجسيد أو التشكيل الفيزياوي الذي تتوافر إمكانياته في الموقع بمقوماته الطبيعة كافة.

وتتكون مواد البناء الاساسية في بلاد وادي الرافدين وعموم الشرق الأدنى من الطين أو الآجر والاحجار والخشب. وممكن أن تستعمل هذه المواد في عصور أو مناطق مختلفة وحسب إمكانية توفرها والمناخ والعوامل الاجتماعية والحضارية. وهذه المواد يمكن أن تستعمل معاً في نفس البناء.

**١- الطين**

تعد مادة الطين هي المادة الرئيسة الأوفر والأكثر إقتصاداً والأقل كلفة والأكثر قدرة على التطويع والتشكيل بأنامل البنائين كما في أنامل النحاتين والفخارين. ومن خصائص الطين الرئيسية قابليته على العزل الحراري فهو يمكن أن يقلل من حرارة الشمس الشديدة في الصيف والبرودة القاسية في الشتاء.

وإذا كانت الكثافة النوعية لطين الأرض المحيطة بالبناء أو طين البناء المضغوط باليد أو بالقالب لا تختلف إلى درجة كبيرة عن بعضها فان هذه الحالة خلقت توازناً نوعياً أساسياً في

الكتل البنائية. وكذلك فان إدامة البناء السنوية بنفس بناء الطين تضمن سهولة في تقنيات العمل إذ لا يحتاج الطين الجديد إلى إزالة الطين القديم وإنما يكفي إضافة طبقة جديدة فوق القديمة التي تعاني من الاندثار الموسمي.

وتعد مادة الطين أقدم مواد البناء في الشرق الأدنى وأكثرها شيوعاً، وعرفت باسم **الطوف** (Tauf) في اللهجة العراقية وتسمى في الفارسية **چينة** (Chineh ) و**بيزا** ( Pise) باللغة الفرنسية، وقد ظهرت منذ الألف العاشر ق.م. ويتكون الطوف من كتل الطين الممزوج بالرمل والتبن المسحوق، ويصنع عادة باليد، وتكون قطع الطوف بحجم يمكن أن يمسك باليدين، ولم تكن هذه القطع متساوية الاحجام.

يحضر الطوف من مادة الرمل ونسبة عالية من الطين ممزوجين بالتبن المسحوق ويعجن هذا المزيج بصورة جيدة بعد إضافة الماء إليه في حفرة قليلة العمق. ويعجن هذا الخليط بواسطة الأقدام أو المجرفة ثم يترك ليتخمر ومن ثم يعاد عجنه مرة أخرى مع الاستمرار باضافة الماء للمزيج الى أن تصبح المادة متجانسة تعمل منها بعد ذلك كتل أسطوانية الشكل أو شبه أسطوانية واحدة فوق الأخرى بالتتابع ثم تبنى بها الجدران وتسوى باليد مع الترطيب المستمر بالماء دون استخدام مادة رابطة (مونة) وذلك لخاصية الطين في الترابط الذاتي وقدراته على التماسك في حالة التشييد وهو بهيئته الطرية.

ومع ازدياد التطور الحضاري والعماري عبر العصور استخدم الإنسان مواد متنوعة في البناء سواء في أنواعها أم في تصنيعها أم في أشكالها. استخدم اللبن بمختلف الاشكال والمقاسات، وهو الآجر غير المفخور أي كتلة الطين المنتظمة المجففة بالشمس.

وظهر اللبن المستوي المحدب، الذي سماه المنقبون الانجليز (Plano convex )، وسماه الالمان ريمشن( Riemchin) في عصر فجر السلالات(٢٩٠٠-٢٣٥٠ ق.م) وهو ذو شكل خاص ومميز. وهو بالأصل من النوع المتوازي المستطيلات، ولكن السطح الأعلى فيه يمتاز بكونه غير مستوٍ وإنما محدباً منتفخ الوسط قليلاً بينما بقية الوجوه مستوية السطح. وكانت طريقة استخدامه غريبة نوعاً ما ومبتكرة ظهرت وأختفت في هذا العصر. إذا يتم وضع اللبنة على أحد الوجهين الصغيرين ولكن ليس بوضع عمودي، وإنما مائلة باتجاه معين وتنظم اللبنات بصف واحد بنفس الميلان، ويكون الصف الذي يليه مائلاً ايضاً ولكن بالاتجاه المعاكس. ويشبه الآثاريون تنظيم هذا اللبن في الجدار في كل صفين بالعمود الفقري للسمكة. وينتظم في المناطق الضعيفة من الجدران، مثل فتحات الابواب، بالطريقة التقليدية في البناء أي نظام( الحل والشد) والتي تكسب الجدار قوة ومتانة. ينظر الشكل الآتي :

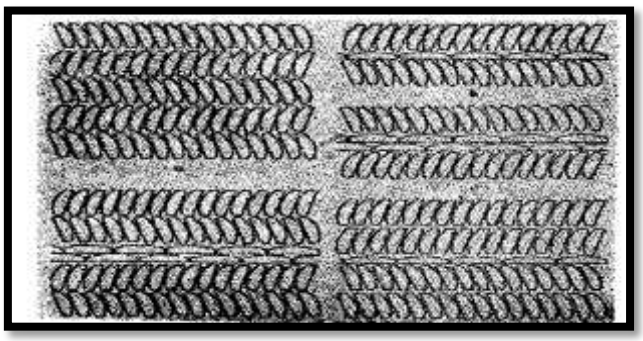

وقد استخدم هذا النوع من اللبن في المباني بشكل عام والدينية بشكل خاص مثل معابد الوركاء وديالي مثل معبد سين في خفاجي وفي اريدو وتل اسمر وسبار وغيرها.

اما المادة التي استخدمت للشد فكانت الطين بالدرجة الأولى. ولم تترك هذه المادة أبداً لأنها ومن خلال التجربة كانت الأكثر تشابهاً مع مادة اللبن في خواصها وتأثرها بالعوارض المناخية مما يعطي انسجاماً كاملاً في ردود الفعل وفي درجات المقاومة لكل التأثيرات الخارجية أو للتقادم في عمر البناء.

وبعد إنتهاء عصر فجر السلالات عاد الناس لاستخدام اللبن المتوازي المستطيلات ذي السطوح المستوية واستمر هذا الاستخدام عبر العصور، وإن تغيرت الاشكال والاحجام، وهو في الغالب بقياسات مختلفة منها ١٣ × ١٣ × ١٣ سم وحتى ٤١ × ١٣ × ١٣ سم.

وتطورت مادة اللبن إلى أن أصبحت آجراً عندما شويت مادة الطين وانتظم شكلها وصنعت في قوالب. ويكون الآجر على هيئة أشكال منتظمة الابعاد. وقد ساهمت في جعل البناء أكثر أنتظاماً وسرعة. والآجر يكون بأشكالٍ وأنوع مختلفة منها اليدوي ومنها ما صنع في قوالب بعضها بطول ٥٠ سم. وامتاز الآجر بالصلابة والمقاومة العالية للمياه والرطوبة والاملاح وعوامل التعرية وتحمله للثقل والضغط فضلا عن قابليته على العزل الحراري وينتشر استخدامه في المناطق التي تفتقر الى الحجر. وساعد ظهوره على انتشار العناصر المعمارية الجديدة ذات الوظائف الفنية الهندسية كالعقود والاقبية والقباب وغيرها.

ظهور الآجر أو الطابوق في العمارة مثل مرحلة تطور تقني حدثت في أماكن مختلفة من الشرق الأدنى، وهي ترتبط بالتطورات الاجتماعية التي حصلت مع تطور القرى المستقرة الثابتة. عموماً حافظ سكان العراق القديم على التقنيات التقليدية للبناء بالطين بأشكاله المختلفة حتى في الحالات التي تتوافر فيها مواد إنشائية أكثر ديمومة وذات قدرات وإمكانيات تشكيلية أفضل، كما الحال بالنسبة لمادة الحجر المتوفرة في شمال بلاد الرافدين. ينظر الشكل الآتي :

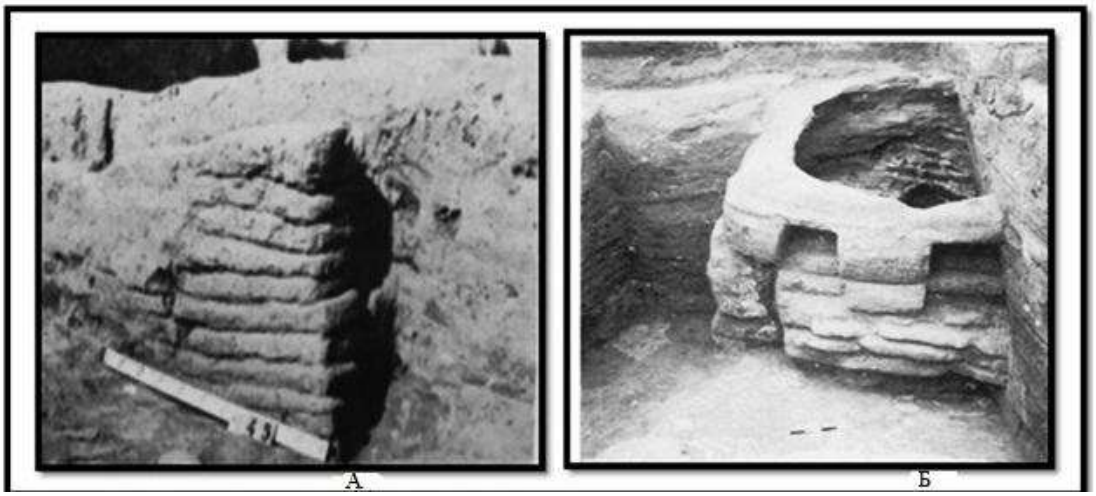

**٢- الحجر**

تعد أرض الرافدين بشكل عام فقيرة بمادة حجر وبشكل خاص القسم الجنوبي منها، وبالرغم من وجوده في شمال العراق، إلا أنه لم يحل محل اللبن كمادة إنشائية أساسية، وإنما أستخدم في جوانب تكميلة وزخرفية كما في العصر الآشوري. فقد أستخدم الآشوريون الاحجار لبناء الأعمدة والدكاك في مداخل المباني والأبواب الحجرية الضخمة لمقابر الملوك وغيرها. واستعلمت الأحجار منذ القدم في صنع صنارات الأبواب، أي القواعد التي تدور حولها الأبواب كما في جرمو.

**٣- الخشب**

الأخشاب ايضاً نادرة مثل الاحجار وغالباً ما استوردت هذه المادة من مناطق بعيدة منها بلاد الشام مثل أشجار الأرز. وتتوفر مادة الخشب في جنوب العراق متمثلة بالنخيل الذي وظف للاستخدام في عمليات التسقيف بشكل رئيسي وخاصة السقوف المستوية.

واستخدم القصب والبردي منذ أقدم العصور، فقد استخدمت كحزم لرفع السقوف الحصيرية. ومادة رابطة بين صفوف اللبن لتخلق نوعاً من الطبقات المانعة لأية شقوق أو إنهيارات قد تحدث في الجدران وتمنع استمرارها في صفوف الطابوق أو اللبن إلى أكثر من أربعة أو خمسة صفوف. كما استخدم القصب المشقوق والمضغوط ثم المنسوج على شكل حصران في التسقيف.

وكثيراً ما وجدت طبعات الحصران في بقايا القير أو على أحد وجوه اللبن أو الطابوق مما يدل على أنه أستخدم كفراش للأرضيات. ينظر الشكل الأتي :

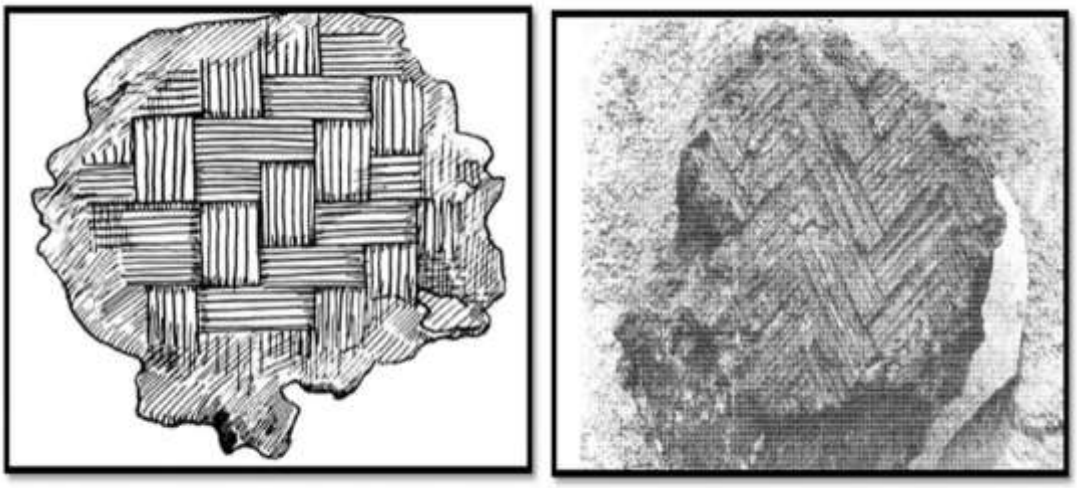

**٤- الجص :**

استخدم الجص بكثرة في المناطق الشمالية والوسطى حيث تكثر مادة الكلس، وقد تركت تأثيرها عبر العصور رغم قلة الأمثلة على ذلك. وأستخدم بشكل رئيس في طلاء الجدران وفي تبليط الأرضيات، وكذلك أستخدم كأرضية لرسم الزخارف الملونة عليها. فقد أستخدم في بعض معابد مدينة الوركاء كما في المعبد الأبيض، إذ تم إكساء الجدران الخارجية للمصطبة بمادة الجص ومنها أتخذ أسمه.

**٥- الاسفلت**

أستخدم الاسفلت كمادة اكساء عازلة للمياه وخاصة في الأرضيات وخاصة في تكسية الأحواض الماء في الساحات وفي المعابد وأن كان هذا في فترات متأخرة. كما استخدم كمادة رابطة في الجدران المشيدة بالآجر.

بنيت المنشآت والمباني في بلاد الرافدين والشرق الأدنى بأساليب وأشكال وطرز مختلفة ومتنوعة عبر العصور المختلفة. تسمح هذه المدة الطويلة للعمارة في الشرق الأدنى بشكل عام برؤية ديمومة وتطور الطرز والاساليب والاشكال العمارية منذ أقدم الأزمان في العصور ما قبل التاريخ وحتى نهاية الحضارة القديمة في الشرق الأدنى.

- **الفن**

إن عمر الفن يوشك أن يكون هو عمر الإنسان، فالفن هو صورة من صور العمل، والعمل هو النشاط المميز للجنس البشري. فهو نشاط بشري يتميز بالقدرة والمهارة في إظهار الابداع وفي توليد الجمال.

والعمل هو نشاط هادف، يرمي إلى جعل الطبيعة ملائمة للاحتياجات البشرية، فالانسان يتحكم في الاشياء ويجعلها ملك يده عن طريق تحويله إياها. والعمل هو عملية تحويل الأشياء الطبيعية، لكن الانسان لا يعمل فحسب بل يحلم ايضاً. يحلم بالسيطرة على الطبيعة بوسائل

خارقة، يحلم بأن يتمكن من تغيير الاشياء وتشكيلها في صور جديدة بوسائل سحرية. إن السحر في الخيال يقابل العمل في الواقع.

إن أصول الفن إنما ترجع للسحر، فالفن هو أداة سحرية للسيطرة على دنيا واقعية لكنها لا تزال مجهولة. ورغم تنوع وظائف الفن، منها الرغبة في تغيير العالم من خلال التنوير والحفز إلى العمل، إلا ان هناك في الفن بقية من السحر لا يمكن التخلص منها تماماً، لأن الفن بغير هذه البقية من طبيعته الأصلية لا يكون فناً على الاطلاق. إن الفن في أي صورة من صوره، جاداً كان أم هازلاً، رامياً إلى الاقناع ام إلى الإيحاء، متعقلاً أم متخيلاً عن العقل، ملتزماً بالواقع أم ممعناً في الخيال، لا بد أن يكون متصلاً بالسحر اتصالاً ما. إن الفن لازم للانسان حتى يفهم العالم ويغيره، وهو لازم ايضاً بسبب هذا السحر الكامن فيه.

فالانسان إنما هو عقل ويد، واليد هي من أطلق عقل الإنسان وأنتجت الوعي الانساني. يقول جوردن تشايلد : « ان الناس يستطيعون أن يصنعوا الأدوات لأن أقدامهم الأمامية تحولت إلى أيدي، ولأنهم يستطيعون أن يحددوا المسافات بدقة تامة إذ ينظرون إلى الاشياء بعينين، ولأن لهم جهازاً عصبياً مرهفاً وعقلاً مركباً يمكنهم من التحكم في حركة اليد والذراع وتوجيه هذه الحركة وتصحيحها وفقاً لما تمليه الرؤية الدقيقة للعينين. لكن ليس هناك غريزة موروثة تمكن الناس من صنع الأدوات وإستخدامها، فذلك أمر ينبغي ان يتعلموه بخبرتهم - عن طريق التجربة والخطأ».

مثلاً كان شكل الفأس اليدوية التي توجد في الطبيعة من حين إلى آخر، من الاشكال التي يمكن إستخدامها في مجالات مختلفة من مجالات النشاط، فبدأ الإنسان بالتدريج ينقلها عن الطبيعة، وهو في صنعه للادوات بهذا الشكل لم يكن مستجيباً « لفكرة خلاقة» وإنما كان مقلداً فقط، وكانت النماذج التي ينقل عنها هي الاحجار التي عثر عليها من قبل واختبر فائدتها بالتجربة. لقد أنتج الأدوات الجديدة على أساس من خبرته بالطبيعة، لا على أساس فكرة في ذهنه. وهو لم يكن ينفذ مشروعاً. بل كان يرى أمامه فأساً يدوية واقعية ويسعى إلى صنع غيرها على غرارها.إنه لم يكن ينفذ فكرة وإنما كان يقلد شيئاً. وهو لم يبتعد عن النموذج الطبيعي إلا ببطء وبالتدريج. فهو إذ يستخدم الأداة ولا يفتأ يجربها، يبدأ بالتدريج في جعلها أكثر فائدة وكفاية. فالكفاية أقدم من الغاية، واليد كانت أداة للاكتشاف قبل العقل.

صنع الإنسان أداة ثانية على غرار الأولى، وبذلك أنتج أداة جديدة لا تقل عن الأداة الأولى فائدة أو قيمة. وهكذا وجد أن المحاكاة تمنحه قوة إزاء الاشياء. فقطعة الحجر التي لم تكن لها فائدة تصبح لها قيمة عندما يمكن تشكيلها في صورة أداة، وبذلك تجند في خدمة الإنسان. وهناك شيء سحري في عملية « المحاكاة » هذه، إذ أنها تهيىء وسيلة السيطرة على الطبيعة.

إذن تعود بدايات الفن في الشرق الأدنى إلى العصور السحيقة. فقد نشأ الفن مدفوعاً برغبة الإنسان في التعبير عن عالمه بكل ما فيه من واقع وتصورات وخيالات ومخاوف وأحلام. صور الإنسان عالمه الاسطوري على جدران الكهوف، ثم أنشأ المعابد والصروح المعمارية، ليعبر عن رؤيته لعالمه الديني الاسطوري.

عموماً تعد البيئة الطبيعية في العراق القديم بعلاقاتها وتداخلاتها أحد العوامل المهيمنة الأساسية في تكييف السياقات التي تحكم الإبداعات الفنية للإنسان ونشاطاته المتنوعة والمتعددة المجالات ومن ضمنها الفعاليات الفنية. فالإنسان العراقي وليد البيئة ومقترن بها بصورة أساسية مؤثراً ومتأثراً بها. ويتعامل الفن مع مفردات بيئية يستدرج أشكالها ورموزها لايصال رؤى فكرية اجتماعية. يستعيرها بعد أن يحولها إلى مدلولات جديدة ذات عمق مضاف بعد أن تتحول إلى أنساق شكلية في بنية الفن وهي بمثابة رؤية الفرد والمجتمع في تلك الفترة إلى الحياة والكون.

- **الطقوس**

هي تعبير عن المعتقدات والسلوكيات التي تسمح بالاتصال بين الآلهة والناس.

**النشاطات الطقوسية،** هي أفعال معيارية تنجز في أوقات منتظمة ويكون لها تأثير عاطفي على الناس. ولكن الطقوس في حقيقتها هي أحداث تاريخية، عملتها مجموعة من الناس في أوقات معينة وأماكن معينة (رغم إدعاؤهم أنها غير متغيرة وتظل قائمة طويلاً).

إن ما نسميه (فن) هو في الحقيقة متمم للطقوس في الشرق الأدنى. وإن الكثير من القطع التي ندرسها ونعتبرها اليوم ( فن) كانت تنتج في الزمن القديم لتستعمل كطقوس، مثل التماثيل النذرية. فقد نصبت في المعابد والمعابد لاستخدامات طقوسية، وكانت تحفظ وتصان وحتى تطعم عن طريق الفم. فالتمثال يعامل ككائن حي يطعم ويكسى ويعتنى به.

عموماً إن رغبات الإنسان في التعبير الفني ترتبط إرتباطاً وثيقاً بمعتقداته الدينية، لأن الفن في الشرق الأدنى القديم عامة لم يكن منفصلاً عن الدين وما كان من دونه ليحظى إلا بقليل من الأفكار الموحية.

- **النحت**

يعد النحت من أهم الفنون التي مارسها العراقيون القدماء وأصدقها تعبيراً عن الأحاسيس الفنية والافكار والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة آنذاك. ودراسة هذا النوع من الفن يعطينا فكرة عن مدى تطور الطرائق والاساليب الفنية المتبعة في النحت في بلاد الرافدين. وهو من أكثر الفنون التي خلفت لنا نماذج كثيرة، ومن مختلف العصور؛ نظراً لطبيعة المواد المستخدمة للنحت، وفي مقدمتها الحجارة المعروفة بمقاومتها الشديد لمختلف العوامل الطبيعة واحتفاظها بشكلها وهيئاتها الاصلية فترة زمنية طويلة.

ويمكن تعريف النحت بأنه فن إعادة التكون في مادة صلبة (حجر، برونز – عاج) بشكل منخفض أو مرتفع أو بزخرفته بزخارف بارزة أو غائرة. فهو فن يعبر عن فكرة من خلال معالجة كتلة من أية مادة «حجر، طين، خشب، معدن» وتحويرها إلى أشكال فنية بعملية الحذف أو الاضافة أو كلاهما معاً. فهو إذا عملية تجسيد كل ما يتركز من مشاهد فنية لدى فكر النحات واحساساته في تلك المادة المهيأة للتشكيل.

وهناك ثلاث أنواع من النحت :

١- **النحت المجسم** :النحت المجسم أو النحت المستدير هو النحت الذي يمكن ان يراه الناظر من جميع الجهات. وهو عبارة عن كتلة تتكون من ثلاثة أبعاد، أي تظهر أشكاله بابعاد ثلاثة؛ الطول، العرض، الارتفاع. وفيه يتعامل الفنان مع كتل صلبة من الاحجار الطبيعية، فضلاً عن الخشب والمعدن والعظام والعاج والطين في تشكيل العديد من التماثيل الحيوانية والبشرية. ولكل مادة من هذه المواد أهميتها الخاصة في كيفية التعامل معها. وهناك تعريف مجازي لفن النحت المجسم، بأنه عبارة عن أشكالاً خالدة من مواد خالدة، أو أنها تنظيم شكل الحجارة بحيث يصبح رمزاً للحياة.

٢- **النحت البارز** : يعد هذا النوع من النحت الاكثر استخداماً في جميع العصور، وقد خضع للقوانين نفسها التي خضع لها النحت المستدير أو المجسم الذي يشاهد من جميع الجهات بخلاف النقوش البارزة، التي يمكن أن نراها من جهة واحدة. وهو النحت الذي تظهر أشكاله بارزة عن الأرضية المستوية« الخلفية ». وفيه تؤشر أولاً الخطوط الخارجية للاشكال على الجدار الحجري أو على قطع العظام باستخدام قطعة حجرية مدببة النهاية أو إزميل معدني، ومن ثم تحضر هذه الخطوط حفراً غير عميق في معظم الأحيان. وقد أستطاع فنان النحت البارز على الرغم من قساوة وصلابة المواد التي ينفذ عليها أعماله. وبساطة الآلات والأوات المستخدمة في التنفيذ من إنتاج أعمال رائعة.

٣- **النحت الغائر**: هو النحت الذي تكون أشكاله محفورة في الأرضية المستوية، كما في الأختام.

- **الفخار**

الفخار هو كل جسم يصنع من الطين سواء أضيفت إليه مواد أخرى أم لم تضاف، فكل شكل فخاري يمر بمرحلة التشكيل، ثم التجفيف وأخيراً التقوية أو التصلب بالحرارة ، وهذه العملية الأخيرة هي التي تحول الطين إلى فخار. إن الاشكال المنفذة من الطين تصبح فخاراً، حينما تتعرض إلى درجات حرارة عالية تتراوح بين ٩٠٠-١٢٠٠ درجة مئوية، وعندما يتم طلائها بالالوان الزجاجية ووضعها في الأفران مرة أخرى، تتحول إلى خزف ( سيراميك).

كيميائياً يمكن تعريف الفخار بأنه: «إحداث رد فعل كيمياوي داخل الطين يحوّله إلى مادة صلبة لايمكن إلغاؤها بعد التأثير عليه بالنار، لطرد الرطوبة والماء المرتبِط كيمياوياً بالجزيئي، فينكسِر القيد الكيمياوي الذي يمسِك بالماء المتحد فيسمح له ذلك بالتحرر بعد مرور الطين بمراحِل للحرق تصِل إلى ٩٠٠مْ».

## الاساليب الفنية

**١- الواقعية**

هي أسلوب فني يعتمد على التشخيصية الموجودة في عناصر الطبيعة. أي أن الفنان يعبر بالاسلوب التشخيصي في نقل الاشكال الموجودة في الطبيعة. ورغم أن الفنان الذي يرسم منظراً طبيعياً، يستفيد من قوانين الطبيعة التي اكتشفها علماء الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا. لكن ما يصوره في الفن ليس هو الطبيعة المستقلة عن شخصه، وإنما هو المنظر الطبيعي كما يبدو من خلال إحساساته،أي من خلال تجربته الخاصة.

فالفنان يقوم بنقل كل ماتراه أ

عيننا من مجسمات ومناظر طبيعية وحالات من الواقع نقل طبق الأصل، كالأدوات والأشخاص أو حتى الأزقة والشوارع. كما ترصد عين الكاميرا الفوتوغرافية اليوم واقع معين ما يخص المجتمع. وقد تدخلت عواطف وأحاسيس الفنان في رصد هذه الأعمال.

فالواقعية تريد أن تعبر عن عالم تكون فيه العلاقات أوضح مما هي عليه في العالم الحقيقي، ولا بد من أن تعبر عن الجوهر الداخلي للأشياء. وتعنى الواقعية بتصوير الأشياء والعلاقات، بصورة واضحة كما هي عليه في العالم الحقيقي الواقعي... وبتصوير الجوهر الداخلي للأشياء، وليس الجنوح إلى الفانتازيا أو الرومانسية. فالعالم يجب أن يصور من دون أي محاولات للتفسير، ومن دون أي إنحياز إلى موقف دون آخر، كلما أمكن ذلك.

وقد أعتقد أصحاب هذه المدرسة بضرورة معالجة الواقع برسم أشكال الواقع كما هي، وتسليط الأضواء على جوانب هامة يريد الفنان ايصالها للجمهور بأسلوب يسجل الواقع بدقائقه دون غرابة أو نفور. فالمدرسة الواقعية ركزت على الاتجاه الموضوعي، وجعلت المنطق الموضوعي أكثر أهمية من الذات فصور الرسام الحياة اليومية بصدق وأمانة، دون أن يدخل ذاته في الموضوع، بل يتجرد الرسام عن الموضوع في نقله كما ينبغي أن يكون، أنه يعالج مشاكل المجتمع من خلال حياته اليومية، أنه يبشر بالحلول. لقد اختلفت الواقعية عن الرومانسية من حيث ذاتية الرسام، إذ ترى الواقعية أن ذاتية الفنان يجب أن لا تطغى على الموضوع.

عموماً تتميز الواقعية بجملة عناصر منها :

١- الاعتماد على النسب العامة للاجسام، لأن الفنان يستمد أشكاله من الطبيعة، ويعبر عنها تعبيراً واقعياً صادقاً.

٢- التأكيد على الخطوط الرئيسية « الخطوط الخارجية» للاشكال.

٣- الاهتمام بالتفاصيل الداخلية الدقيقة للاشكال.

٤- التركيز على الناحية التشريحية للاشكال سواء كانت بشرية، حيوانية، نباتية، جمادية.

٥- الاعتماد على الجمال الشكلي أكثر من الجمال الروحي.

٦- ان الاشكال في الفن الواقعي تعبر عن المظهر الذي يدل على الجوهر.

٧- تركز على جمال الطبيعة « إنسان، حيوان، نبات، جماد » لذا يركز الفنان على اختيار النموذج الأمثل كموضوع لعمله الفني.

**الإتجاهات الفنية للواقعية**

أ – **الواقعية الطبيعية** : يهدف هذا الاسلوب إلى محاكاة الاشكال المرئية بدقة متناهية، والمتمثلة بكل العناصر الموجودة في الطبيعة سواء كان إنساناً، حيواناً، نباتاً، أو جماداً.

إن الواقعية الطبيعية تقدم الحقيقة كاملة، لأن مهمة الفنان تكمن في تسجيل الحقائق من خلال نقلها نقلاً حرفياً عن الواقع.

**ب- الواقعية التعبيرية** : يمتاز هذا الاسلوب بقوة التعبير أي القدرة على تحميل الجسم بالمعنى المطلوب التعبير عنه. وتتميز الواقعية التعبيرية باهتمامها الشديد بالانفعالات النفسية وتأثيرها على ملامح الوجه وحركة الجسم للاشكال البشرية والحيوانية.

٢- **التجريدية**

تقوم فلسفتها على إختزال الشكل وتشكيل الفكرة بدون توضيح الخطوط. فهي أسلوب فني يستند إلى تحوير الشكل المرئي من خلال عملية التبسيط والاختزال في التفاصيل من أجل إستخلاص جوهره، وصولاً إلى رموز إبتكارية تعبر عن الافكار والمعاني والاجابات.

والفن التجريدي فن يعتمد في الأداء على أشكال ونماذج مجردة تنأى عن مشابهة المشخصات والمرئيات في صورتها الطبيعية والواقعية. ويتميز الفن التجريدي بمقدرة وبقدرة الفنان على رسم الشكل الذي يتخيله سواء من الواقع أو الخيال في شكل جديد تماما قد يتشابه أو لا يتشابه مع الشكل الأصلي للرسم النهائي مع البعد عن الاشكال الهندسية.

**وتتميز التجريدية بالسمات الآتية :**

أ- إهمال النسب العامة للاجسام، لأن الفنان لا يعتمد على المظهر إنما على الجوهر.

ب- إعادة صياغة المظهر الطبيعي في خلاصات تهمل التفاصيل وتؤكد على الكليات، لأن الفنان لا يهتم بالجمال الشكلي وإنما بالجمال الطبيعي.

ت- عدم الالتزام بالشكل الواقعي، أي الابتعاد كلياً عن التشخيصية الموجودة في عناصر الطبيعة، لذلك اختفت الناحية التشريحية للاشكال المجردة عن حقيقيتها في الطبيعة.

**٣- الرمزية**

تعني فكرة يعبر عنها الفنان من خلال مجموعة من الرموز التي لها صلة بالطبيعة في شكل واحد، ليعبر عن مفهوم خاص بمعتقدات دينية أو سياسية.

ويستخدم الرمز لتمثيل الأشياء مثل الافكار والمشاعر. ووظيفة الرمزية تكمن في التعرف على المعاني العميقة للحياة الباطنة، وللكشف عما وراء الظواهر الطبيعية، كما أنها تعبير عن دينامية كامنة بالأشياء تؤلف بين الشكل والمحتوى في تكامل جمالي.

وقد أبدع الفنان الرافديني أشكالاً لكائنات مركبة. بعد أن أخذ أجزاء من مخلوقات حقيقية وأعتمد على الجزء الذي يمثل عنصر قوة ذلك الكائن في الطبيعة، فقام بصياغة تلك الأجزاء من جديد وجمعها في شكل جديد خيالي يمثل المخلوق الاسطوري. تستمد مضامينه من الرمزية المتجسدة فيه، وبما يتلائم مع الافكار والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة في بلاد الرافدين. ففي الثيران المجنحة مثلاً استطاع الفنان وبمقدرته الفنية العالية أن يحقق الترابط بين الشكل والمضمون في تلك الكائنات المركبة. ولا نبالغ إذا قلنا أن الفنان الرافديني سبق فناني العصر الحديث بآلاف السنين، حينما أبدع هذا الاسلوب التأملي الذي سمي من قبل مؤرخي الفن الحديث بالفن السريالي.

لقد أضفى الفنان الرافديني على هذه الكائنات المركبة الروح والحياة الظاهرة، فمثلت بأروع المخلوقات في أجسادها وأجزائها وتفاصيلها وحركاتها، وكل شيء فيها رمز لعنصر من عناصر الحياة.

**٤- الفن التشكيلي**

هو كل شيء يؤخذ من حياتنا اليومية أو الواقع . ويتم صياغته بطريقة جديدة. أي يشكل تشكيلاً جديداً. وهذا ما يطلق عليه بكلمة« تشكيل» .و التشكيلي هو الفنان الباحث الذي يقوم بصياغة الاشكال آخذاً مفرداته من محيطه ولكل فنان أو إنسان رؤيته ونهجه الخاص. لذا تعددت المعالجات بهذه المواضيع ، مما إضطر الباحثون في مجالات العطاء الفني أن يضعوا هذه النتاجات تحت إطار واحد هو ( مدارس الفن التشكيلي).

## الفصل الثاني

## العمارة في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار(٩٠٠٠-٧٠٠٠ ق.م)

أشرنا في الفصل السابق إلى أن الباحثين قسموا العصر الحجري الحديث إلى مرحلتين أساسيتين هما العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار والعصر الحجري الحديث الفخاري.

وقسم العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار إلى عصرين مميزين هما العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار **A (PPNA)**، والعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار **B (PPNB)**. تميزت كل مرحلة بسمات وخصائص إقتصادية وعمارية محددة.

### ١-العمارة في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار A = Pre- Pottery Neolithic A

قبل الخوض في تفاصيل العمارة في العصر الحجري الحديث نود الاشارة للاشكال الأولى من العمارة التي وجدت في شمال بلاد الرافدين في العصر الحجري الانتقالي( إيبي-باليوليتي) (Epipalaeolithic) (١٣,٠٠٠-٩,٠٠٠ ق.م). تعد هذه المرحلة الانتقالية بين العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث مرحلة مهمة جداً ويمكن توصيفها بأنها مرحلة تقدم، إذ نشأت فيها العديد من التطورات التقنية والاقتصادية والاجتماعية.

حدد الباحثون فيها عدة حضارات محلية في منطقة أعالي بلاد وادي الرافدين منها الحضارة الزرزية في جبال زاكروس في شمال العراق، سميت المرحلة الأخيرة منها (ما قبل العصر الحجري الحديث = Proto-Neolithic)، وتؤرخ من حوالي ١٠,٠٠٠ ق.م. وقد كانت العمارة إحدى السمات الجديدة في هذه المرحلة، فقد ظهرت المباني الدائرية والبيضوية بأقدم أشكالها البسيطة.

كانت المجتمعات في هذا العصر تتألف من مجموعات صغيرة متفرقة متجولة ربما إستقرت لبعض الوقت في مكان ما، وعملت على إستغلال موسمي للموارد المتاحة، وإن كانت هناك بعض الأدلة عن البقاء لوقت طويل في المستوطن وخاصة في نهاية هذا العصر. لذا يمكن القول أن سكان هذه المستوطنات وخاصة في المراحل الأخيرة شكلوا ما يمكن أن يكون الممثلين الأوائل للتجارب الزراعية الأولى في العالم وفي هذه المنطقة، وقد أستدل على ذلك من خلال وجود البقايا النباتية المستهلكة في البيوت السكنية، ووجود الحجرات الصغيرة ضمن مباني هذه المستوطنات والتي تبين بعد إجراء التحليلات المختبرية عليها أنها كانت مخصصة لتخزين البقوليات والحبوب كما في موقع زاوي جمة. لكن وبكل الأحوال والمقاييس بقي الناس يمارسون حياة الصيد والتجول في مجموعات صغيرة.

إن الإنسان وبمعارفه البسيطة في ذلك الزمن المبكر من حياته المستقرة لم يكن يعرف غير أن يحفر حفرة في الأرض قد تكون في الغالب ذات شكل دائري وغالباً ما كان يبطنها بالحصى

والحجارة المتوفرة حواليه في الطبيعة ليتخلص من الرطوبة والطين والبرودة ومياه الامطار ثم يرتفع في جوانب الحفرة عدد من السوف( الصفوف) لتصبح جدرانها متماسكة من حواليه ومن ثم يحاول أن ينهي أعاليها( أي أعالي هذه الحفر) بالمواد النباتية وأغصان الاشجار أو ما شابه مما يجده حواليه في بيئته الجديدة.

فكانت تلك هي أكواخ أو منازل السكان الأوائل والتي كما سنرى تميزت بأشكالها الدائرية أو البيضوية وشبه المجوفة، وقد بنيت من مادة الطوف على أسس حجرية وكانت صغيرة الحجم ما بين ٢ م و٢,٥ م. ربما نجد بعض من أسسها الحجرية في أماكن متعددة من شمال العراق ومناطق أخرى من الشرق الأدنى القديم.

ظهرت أقدم المباني المعروفة في منطقة أعالي بلاد وادي الرافدين في مواقع هذا العصر، وقدمت ما يمكن أن يكون نواة البيت في هذه المنطقة، وكان ذلك في موقع **زاوي جمة شانيدار** وهو مستوطن صغير يقع على ضفة الزاب الكبير إلى الغرب من كهف شانيدار بنحو ٤ كم، قرب القرية الكردية الحديثة المسماة شانيدار ايضاً في محافظة اربيل. يقع هذا المستوطن على إرتفاع ٤٢٥ م فوق مستوى سطح البحر. نقبت فيه الباحثة الآثارية روز سوليكي وزوجها رالف سوليكي منقب كهف شانيدار الشهير.

تألفت العمارة في هذا الموقع من أشكال بدائية في تصميمها وتقنية بناءها، تتكون في الغالب من غرفة مدورة تقريباً فيها فتحة صغيرة تمثل المدخل، منها مبنى شبه دائري في مخططه الخارجي قطره حوالي ٢ م، بنيت جدرانه من قطع من حجارة كلسية كبيرة وأخرى صغيرة والحصى النهري فضلاً عن بقايا آلات وأدوات حجرية منزلية مكسرة مثل الرحى والمدقات وبدون أسس حجرية، ولم تكن جدران المبنى مطلية بالملاط، ويحتمل أن لهذا البناء مدخلاً في الجانب الغربي منه. ينظر الشكل الآتي :

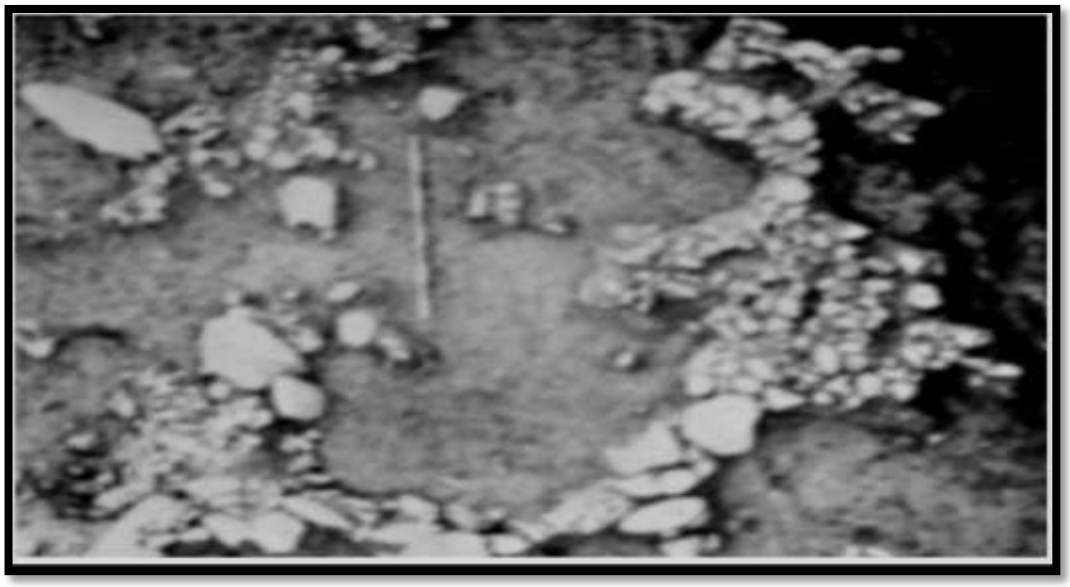

من الجدير بالذكر أن هذه التقنية في استعمال الجدران غير المكسوة بملاط لا تزال شائعة ليومنا هذا في المنطقة الشمالية من العراق وتستعمل في بناء بعض حظائر الحيوانات المدجنة، كما في الشكل الآتي :

الموقع الآخر الذي فيه بقايا عمارية أكثر وضوحاً من سابقه هو موقع **ملفعات** الذي يقع على الكتف الغربي لنهر الخازر إلى الشمال قليلاً من طريق نينوى– اربيل، يرتفع الموقع بحدود ٢٨٨ م عن مستوى سطح البحر، ويغطي مساحة من الأرض تبلغ حوالي ١٢٠x ٩٠ م، وعمق البقايا الأثرية أكثر من متر ونصف حسب الجس الذي قام به المنقب الامريكي بريدوود.

وقد كشف في الخندق التنقيبي الثاني عن طبقتين بنائيتين تمثلت بما سماه المنقب حفر المنازل الصغيرة (Pit– Hoses) وهي حفر بقياس ٣,٥ x٢,٥ م، كان من الصعب تحديد عمقها الأصلي وترتيب وتنظيم سقفها، الذي يعتقد أنه ربما كان من مواد هشة كأغصان الاشجار وما شابه. بينما ضم الخندق الثالث ثلاث طبقات تم تمييزها على أساس البقايا العمارية الواضحة. فقد كشف عن أكثر من عشرة بيوت دائرية وبيضوية الشكل، كان بعضها بقطر حوالي ٦ م، بنيت جدران بعضها بالطوف، وأخرى كانت شبه مجوفة بنيت باللبن المجفف بالشمس، الذي كان أسطواني الشكل بطول يصل ٧٠ سم، وتعد هذه المباني أقدم النماذج المعروفة في شمال العراق المبنية باللبن المجفف بالشمس، وكانت بأرضيات مرصوفة بالحجارة،غالباً ما جهزت هذه البيوت بمواقد. ينظر الشكل الآتي :

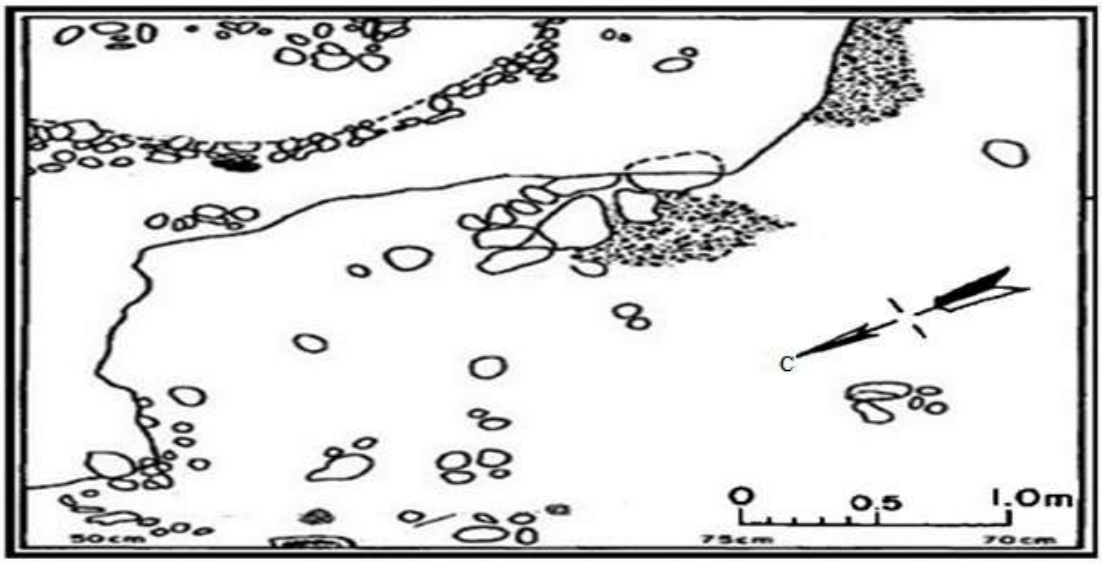


بشكل عام يبدو أن البقايا العمارية في هذا العصر كانت محدودة وبسيطة تكونت من أكواخ طينية صغيرة، وربما يكون لطبيعة الحياة المتنقلة والوضع الإقتصادي القائم على الصيد والجمع أثر في هذا الجانب، وربما أعتمد سكان هذا العصر على الملاجيء الطبيعية والكهوف كأماكن للعيش أكثر من بناء مستقرات ثابتة، فالبقايا الآثارية التي كشفت في الطبقة ب في كهف شانيدار كانت تشابه نظيراتها في المواقع المفتوحة، وهذا ربما يفسر أن هذا الكهف كان ملجأ شتوياً للسكان الذين عاشوا في مواقع مفتوحة قريبة مثل موقع زاوي جمة شانيدار. الشكل أدناه يمثل مقطع لطبقات السكنى في كهف شانيدار:

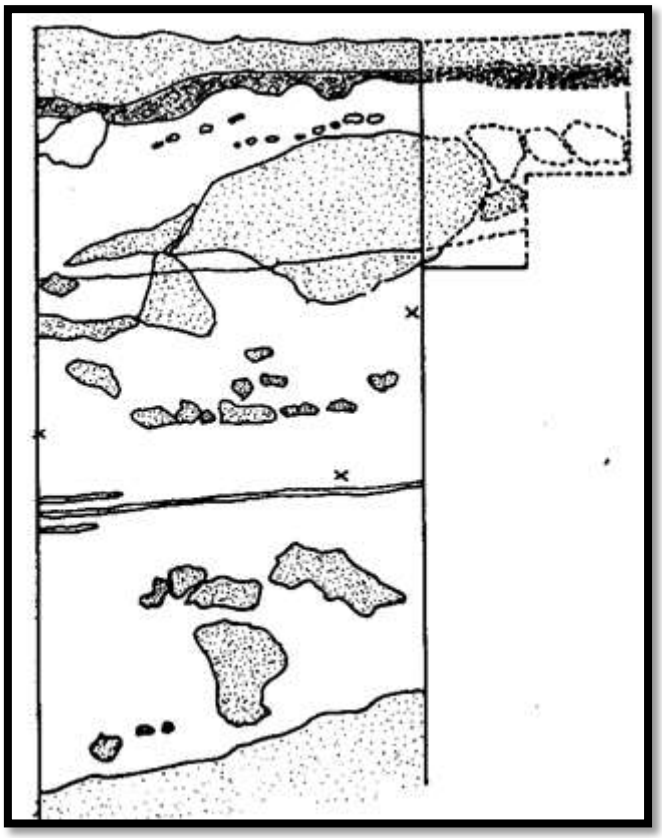

**الخلاصة :** أن المجتمعات البشرية في هذا العصر الانتقالي مرت بسلسلة من التحولات الأساسية عبر بضعة آلاف من السنين، وتحولت من حياة الصيد والجمع إلى حالة الاستقرار الكامل في قرى ثابتة عاشت فيها في بيوت دائرية أو بيضوية الشكل صغيرة الحجم غير منتظمة الشكل شيدت جدرانها بمواد بنائية متوفرة في بيئتها من طين وحجر وسقفت بالقصب وجذوع الاشجار وغيرها من مواد خفيفة أخرى. وقد كان الشكل الدائري أكثر ملائمة مع نوعية المواد الأولية المستخدمة في البناء، فضلاً عن الظروف الطبيعية التي استلزمت احترازاً دفاعياً تجاه مجمل الظواهر الخارجية وخاصة عمليات الغزو.

وأخيراً نود أن نشير إلى وجود مجموعة من المواقع التي تنسب إلى هذه الفترة ولكنها لم تترك أدلة عمارية مثل كريم شهر وكرد علي أغا وكرد جاي ودير حال الطبقة ٦ وغيرها.

ومع مطلع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أ (**Pre- Pottery Neolithic A**) في حدود الألف التاسع ق.م، يتغير حال الاستيطان قليلاً عن المرحلة السابقة، فقد حصلت تغييرات تدريجية في بنية المستوطنات وظهرت تطورات إقتصادية وإجتماعية وإيدلوجية وعمارية. وقد تواصل الاستيطان دون إنقطاع عن الماضي في عدد من المواقع مثل موقع نمريك لحوالي ٩٠٠٠ سنة. تراوح حجم المستوطنات الاقدم بين ٠,٥ إلى ١ هكتار مع عدد سكان لا يتجاوز بضعة عشرات كما في قرمز درة وجننج (Ginng). ويظهر التنظيم المعماري في هذه المستوطنات من خلال توسيع حجم القرى وترك ممرات بين المباني مع وجود ساحة عامة ومبنى جماعي يتوسط المستوطن.

إعتمد سكان أغلب هذه المستوطنات على الصيد والجمع في حياتهم المعيشية مع ظهور إشارات واسعة عن زراعة بعض المحاصيل، فضلاً عن دلائل عن تدجين بعض الحيوانات مثل الخنزير والكلب والماعز.

من أهم المواقع من هذا العصر موقعي نمريك وقرمز درة. يقع **موقع نمريك** على بعد حوالي ٤ كم عن ناحية فادية في شمال غرب محافظة دهوك. يتكون من تلين هما نمريك ٩ ونمريك ١٠، مساحته حوالي ١,٨ هكتار. ينظر الشكل الآتي :

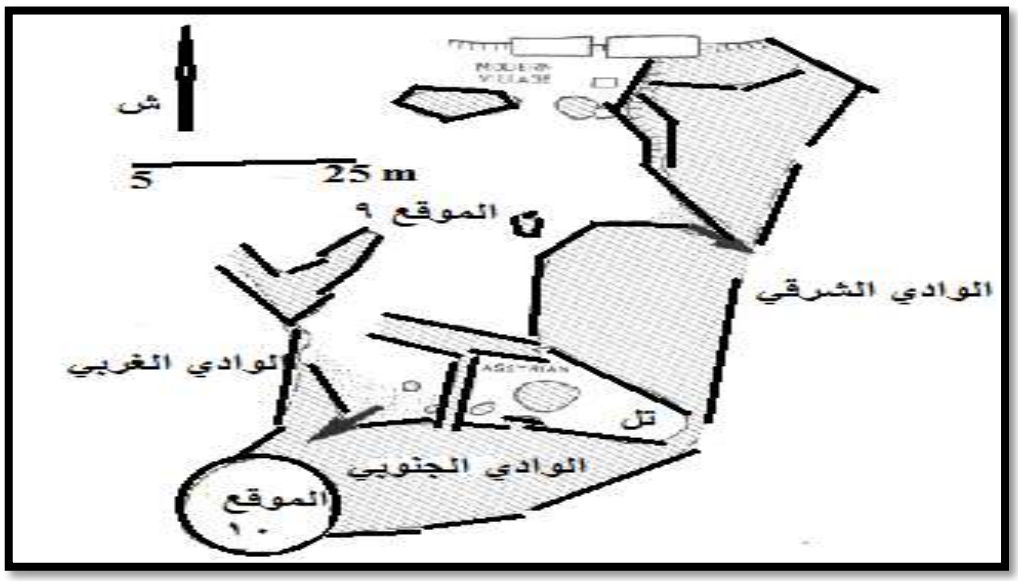


عملت فيه بعثة بولندية بين عام ١٩٨٥–١٩٨٩ من جامعة وارشو، حيث أجرت تنقيبات إنقاذية ضمن مشروع سد الموصل. إستمر الاستيطان فيه في العصر الحجري الحديث بمرحلتيه أ وب. يؤرخ من حوالي ٨٢٠٠– ٦٢٥٠ ق.م. حددت فيه ١٨ طبقة بنائية.

كان الاستيطان في موقع **نمريك** عبارة عن تجمع بيوت مستديرة متعددة المقاييس تتدرج على منحدر، ويوجد بين هذه البيوت مساحات فارغة نتيجة التلاصق الدائري، عثر فيها على مواقد كبيرة وحفر أسطوانية أو حوضية الشكل كانت مملوءة بالحصى وبالقرب منها عظام حيوانات ربما كانت أماكن للطبخ الجماعي في الموقع، عموماً كان هذا النوع من الحفر شائعاً في الكثير مواقع الشرق الأدنى القديم. وقد كان الاستيطان في الموقع محدوداً بعدد قليل من البيوت تركزت بشكل خاص في القسمين الاوسط والجنوبي من الموقع، وبلغت أبعاد المستوطن في هذه المرحلة حوالي ١٠٠ X٨٠ م، شيد بحدود تلك المساحة عدد من البيوت الدائرية. إن محدودية ما عثر عليه من مباني ومخلفات آثارية تشير بوضوح إلى نمط متواضع من المستوطنات، تميز بسكن محدود في مباني صغيرة المساحة منتشرة على أبعاد مختلفة داخل نطاق هذا المستوطن. ليس هناك الكثير من الأدلة عن التسقيف.

تشكل موقع نمريك من قسمين مختلفين جداً، يؤديان وظائف يكمل إحداهما الآخر. فقد بنى السكان في النصف الشمالي بيوت دائرية تقريباً وشبه مجوفة، بنيت غائرة في الأرض لعمق مترين أو أكثر. وفي مرحلة محددة من حياة المستوطن تحرك الاستيطان نحو الجزء الجنوبي من الموقع حيث بنيت بيوت دائرية شبه مجوفة غائرة في سطح الأرض، بينما في القسم الشمالي الذي كان منطقة مخصصة للاستيطان المنزلي، ظهرت سلسلة مباني دائرية حجرية بقيت وظيفتها غامضة.

كان تخطيط البيوت في نمريك وفق نمط دائري كبير المساحة بقطر تراوح بين ٥,٥ – ٩ م، حفرت الاقسام السفلى من جدرانها في باطن الأرض، يحوي المبنى الواحد على غرفة واحدة

وأحياناً عدة غرف. فقد ظهرت على الأرض البكر عدة مباني منها البيت رقم **A** ٩ وهو بقطر ٥,٥ x٦ م، حفرت جدرانه على الأرض البكر وسويت أرضيته بطبقة رمادية بسمك ١٠ سم. عثر فوق أرضية البناء على أربع حفر شبه دائرية بقطر ١٥-٢٥ سم ثبت فيها أربع قطع حجرية غير منتظمة الشكل استخدمت على الأغلب لوضع ركائز لرفع السقف. كما عثر داخل المبنى على ثلاث دكاك طولية الشكل مبنية بالطين، ربما أستخدمت بمثابة عتبة يوضع عليها سلم يستخدم في التنقل من وإلى المبنى. ليس للمبنى مدخل لذا ربما تتم عملية الدخول والخروج منه عبر فتحة السقف ويستعان بسلالم خشبية للنزول من سطح المبنى إلى الداخل. ينظر الشكل الآتي :

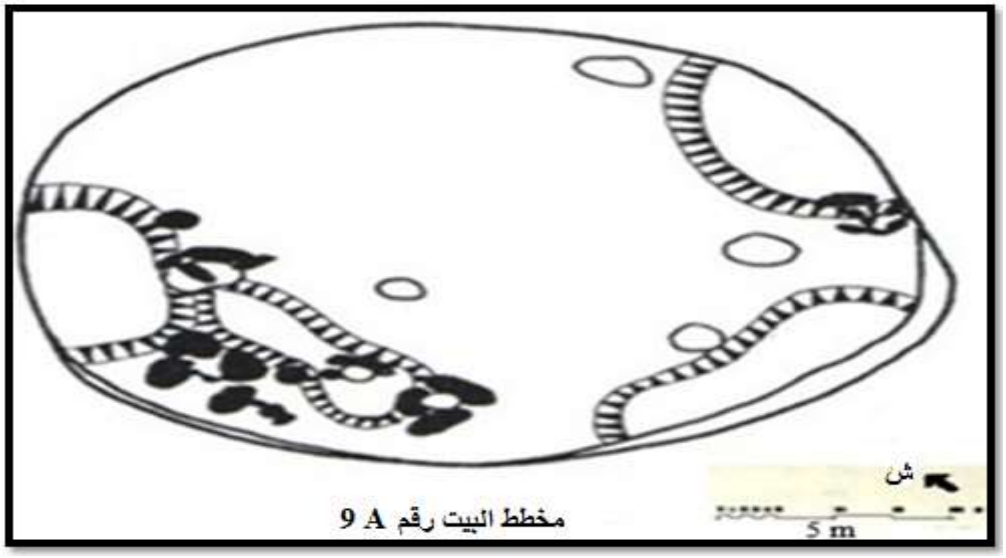

مخطط البيت رقم 9 A

بعض البيوت كانت بأسس حجرية أو حصوية، بنيت جدرانها من كتل الطوف وغطيت بطبقة من الملاط الطيني كما في البيت ١B. بيوت أخرى أستخدم اللبن المجفف بالشمس ذو شكل يشبه السيكار في بناء جدرانها، بقياس ٥١ x١٢ سم، طليت جدرانها بالملاط وزودت ببعض الأثاث مثل مصاطب نوم ومقاعد طويلة(Bench)، كما في البيت ١A. ينظر الشكل الآتي :

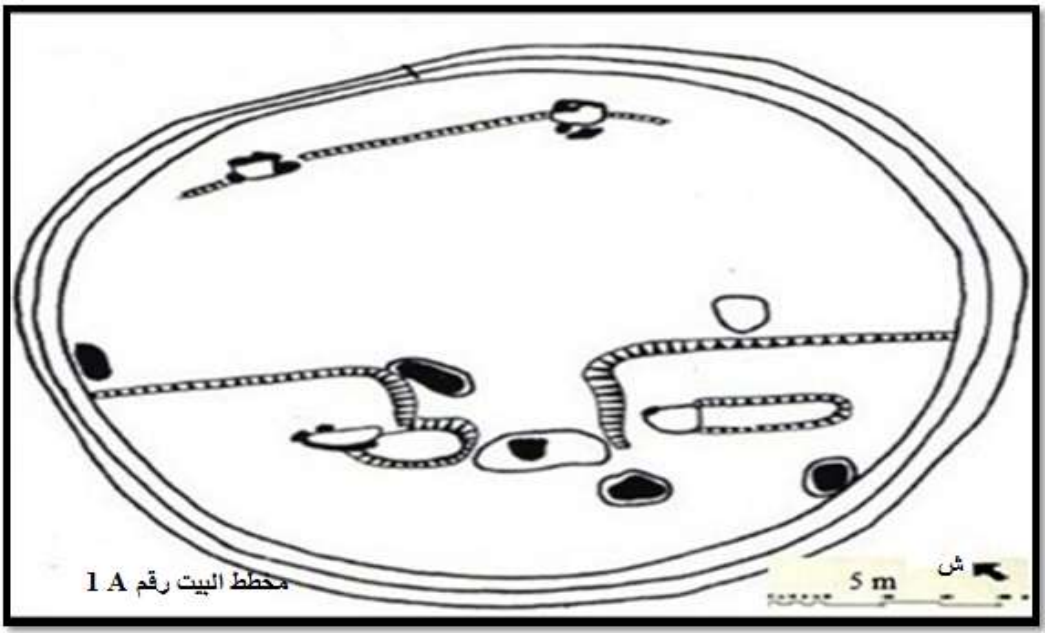


يقع موقع **قرمز درة** غرب تلعفر على بعد حوالي ٣٠ كم عن محافظة نينوى. وهو عبارة عن تل صغير مساحته ٦٠ x ١٠٠ م، تعرض جزءاً كبيراً من التل للتآكل، بينما حافظ القسم الجنوبي من التل على هيئته الأصلية بصورة جيدة. عملت فيه جامعة ادنبرة الاسكتلندية برئاسة السيد واتكنز ضمن المشروع الإنقاذي لري غرب الجزيرة. حددت فيه ٧ طبقات إستيطان أورخت من حوالي ٨٢٥٠- ٨٠٠٠ ق.م. ينظر الشكل الآتي :

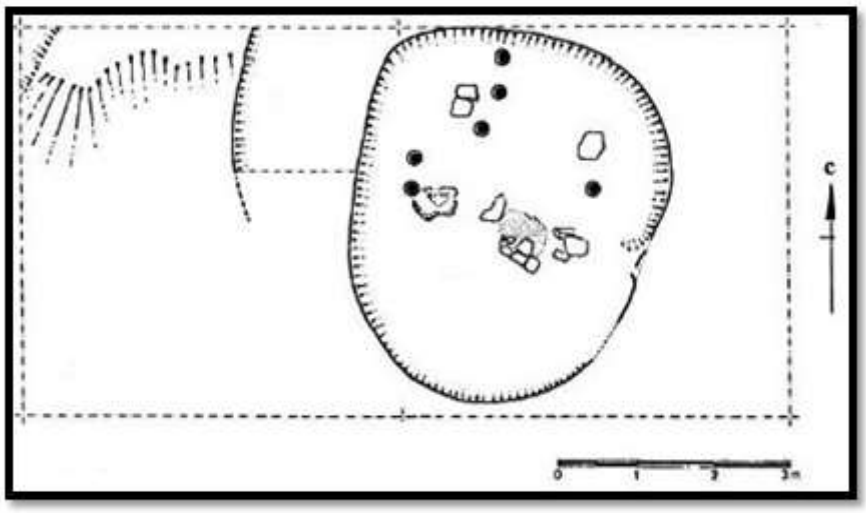


كانت عمارة جميع البيوت في موقع قرمز درة متشابهة جداً في مخطط بنائها، فهي مجوفة وشبه دائرية، تضمنت غرفة منفردة، بنيت جدرانها من الطوف وطليت الجدران والأرضيات بالطين. ليس هناك آثار للباب ولا درجات للمرور، لذا ربما يكون الدخول للمنزل من السقف كما هو الحال في موقع نمريك، ليس هناك الكثير من الأدلة عن التسقيف. أحد بيوت المستوطن أعيد بناؤه على ثلاث مراحل، كما يوضح ذلك الشكل الآتي :

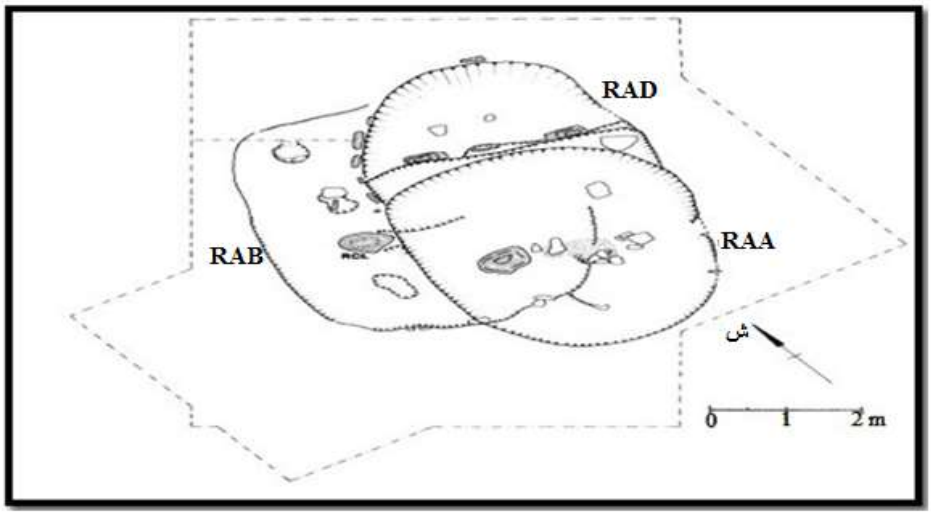


المرحلة الأولى يمثلها البيت (**RAB**) وهو الأقدم وكان قد بني في حفرة كبيرة بعمق على الأقل ٠,٨٥ م أو ربما ١,٥ م، بلغت مساحته حوالي ٢٤ م مربع. بنيت جدرانه من الطوف طليت جوانب الحفرة بملاط طيني ثم طليت بطبقة خفيفة من الجص الأبيض، وعملت أرضيته المقعرة نوعاً ما من الجص الأبيض. بشكل عام كان المبنى محطماً لكن الجانب الغربي منه كان محفوظ جيداً. وقد وجدت في هذا الجانب أربعة حفر وضعت في صف متوازي مع المحور الطولي للحجرة، ربما كانت لوضع أعمدة ساندة للسقف. ينظر الشكل الآتي :

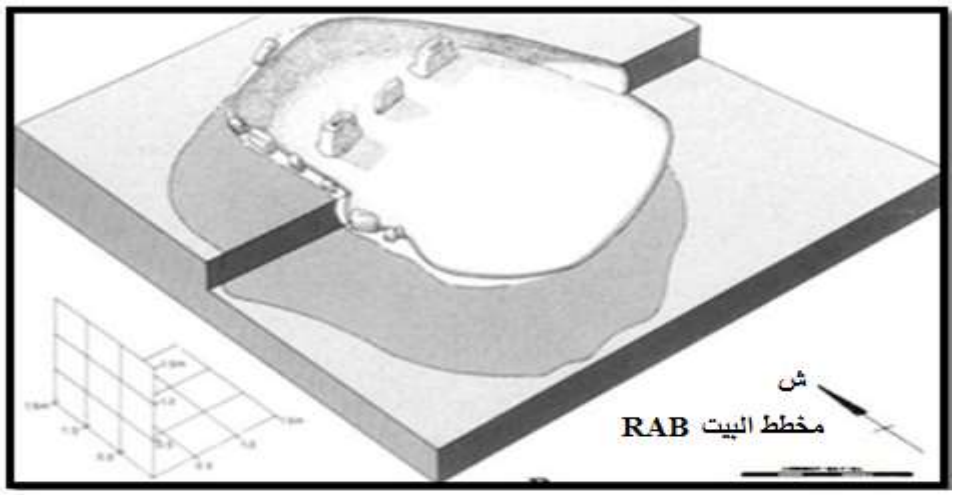


وجدت في أرضية هذا البيت بقايا متناثرة لعمودين حجريين، وعند إعادة تشكيلها كان إحداهما عبارة عن لوح حجري بسيط، بينما كان الثاني أسطواني ذو رأس مدبب له زوج من الجذوع المقطوعة( ربما أذرع)، كانت هذه الأعمدة بطول يقارب ١,٤٠ م، كما يظهر في الشكل الآتي :

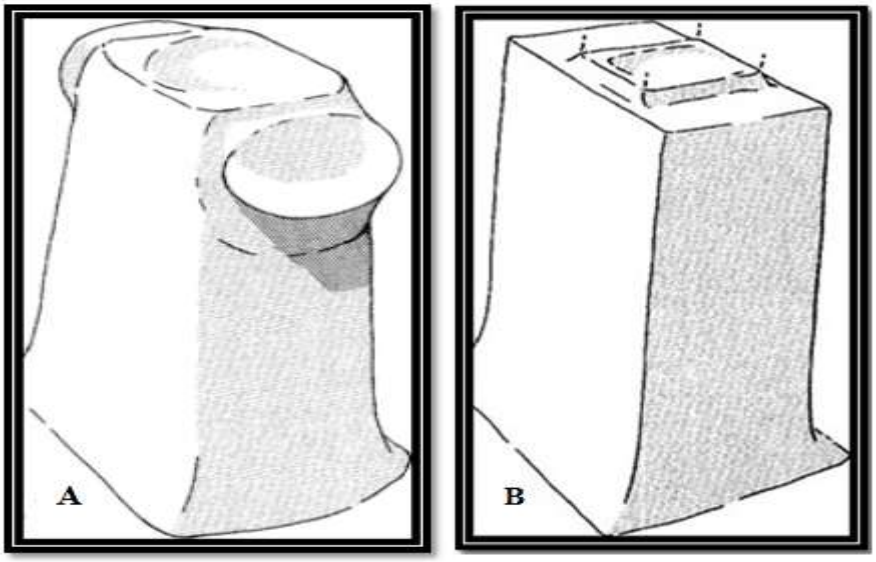


زوج من أعمدة طينية بنواة حجرية

ويمثل البيت(**RAD**) المرحلة الثانية وكان قد حل محل البيت من المرحلة السابقة، وهو أقل عمقاً وبمساحة أقل حوالي ١٨ م مربع. وجدت ثلاث معالم بارزة في وسطه، أولها لوح حجري كبير غير مستوي يقف منتصباً في الوسط، وهناك زوج من أعمدة طينية بنواة حجرية تحيط به من الجانبين. كشف عن آثار صبغ أحمر في أرضية هذا البيت. يبدو أن جدرانه كانت قد قويت من خلال ألواح حجرية وضعت على الحافة. ينظر الشكل الآتي :

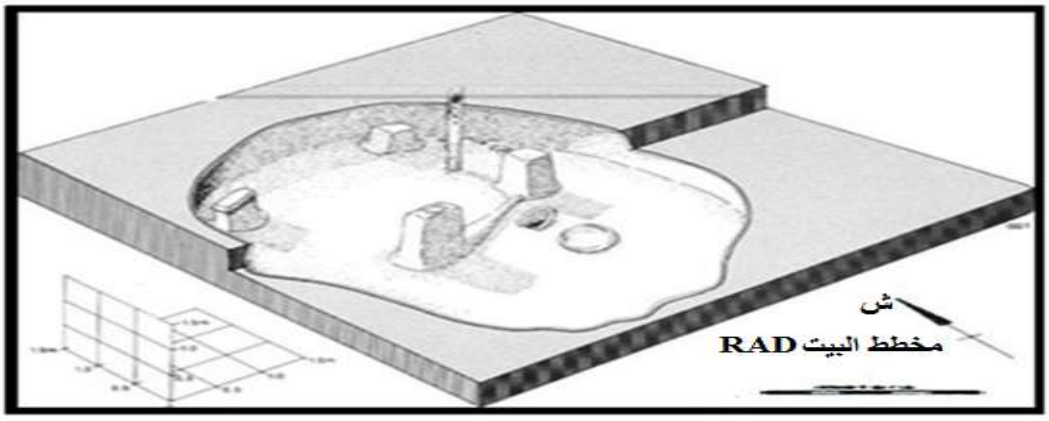


بيت المرحلة الثالثة (**RAA**) حل محل البيت الثاني(**RAD**) وهو يشبه البيت (**RAB**)، كان عبارة عن حجرة مفردة بيضوية الشكل بقياس٣,٨م x ٤,٨ م، فيها زوج من الأعمدة المطلية بالطين، فضلاً عن لوح من الحجر كان قد حفظ في كوة (Niche) في أحد الجدران. يبدو أن هذه الحجرة قد أعيد بنائها، إذا أن هناك زوج جديد من الأعمدة بنيت قرب مركز الغرفة، تحيط بموقد صغير. أحد هذه الأعمدة كان مختلف في شكله عن الأعمدة الأخرى، فالنواة الحجرية كانت عبارة عن قطعة عمودية من صخرة أكثر من كونها لوح، والعمود نفسه غير منتظم الشكل. ينظر الشكل الآتي :

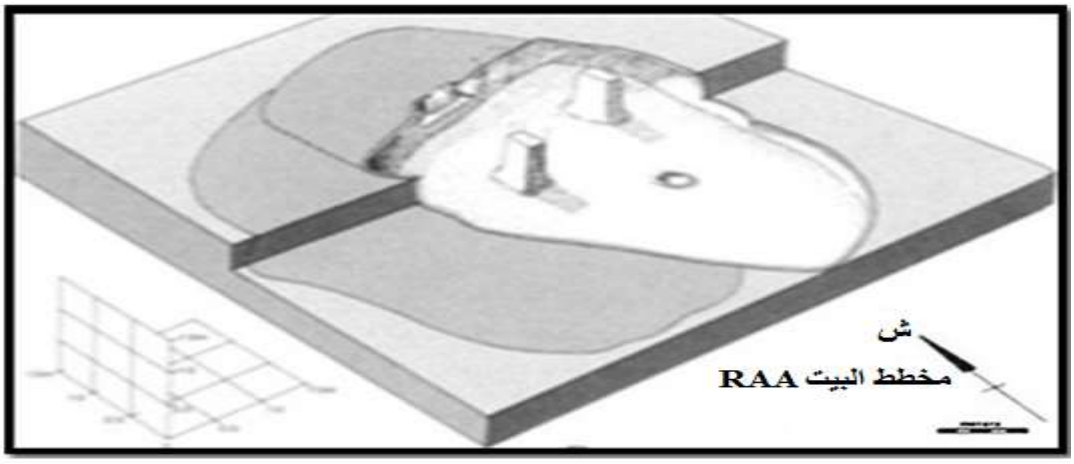


**المدافن :**

كانت عادات الدفن ظاهرة جديدة في هذا العصر من حيث الكثافة والتنوع، وربما تكون جذورها في العصر السابق. ففي موقع قرمز درة كشف عن قبور في أسفل أرضيات المباني الدائرية، فقد عثر فيها على ٦ جماجم بشرية في القسم الشمالي من البيت **RAA** . ووجدت في موقع نمريك مجموعة قبور في أسفل البيوت تضمنت حوالي ١٥ هيكلاً بشري كامل وعثر في حالات قليلة على جماجم بشرية مفصولة كما في البيت ١ و١A و**B** ١. تميز أحد القبور عن غيره بأسلوب بنائه فقد كان كبيراً بقطر ٤ م واحتوى هدايا جنائزية منها كميات كبيرة من أدوات وآلات صوانية وحجرية. ينظر الشكل الآتي :

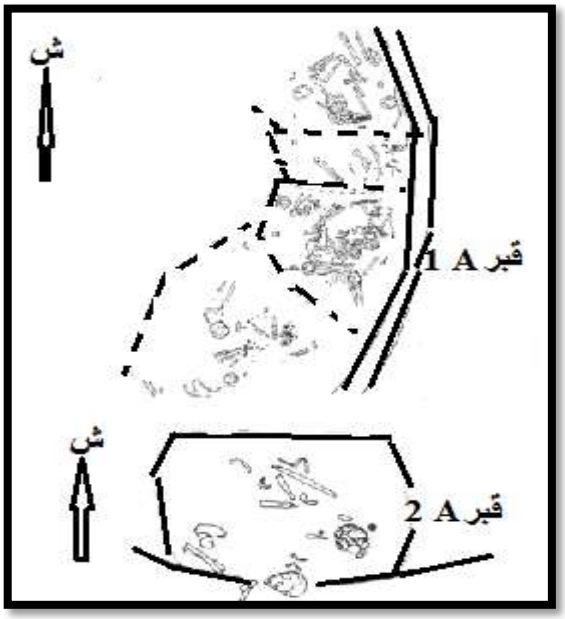


**الخلاصة** : يمكن القول أن المباني في هذا العصر كانت دائرية كبيرة استعملت في الغالب للسكنى، تكونت من غرفة واحدة كما في قرمز درة أو أكثر من غرفة كما في نمريك. كانت في الغالب بأسس غائرة في سطح الأرض ولا توجد في بعضها مداخل كما في نمريك وقرمز درة. غالباً ما أحتوت أعمدة خشبية لدعم السقف المعمول من مواد خفيفة مثل أغصان وجذوع الأشجار والقصب والحصران والطين. أستعمل الطين في بناء الجدران كما في قرمز درة ونمريك.

إن إنجازات سكان هذا العصر العمارية شكلت النواة والأساس للفكر المعماري والهندسي العراقي القديم رغم بساطتها.

**٢-العمارة في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار PPNB ,B (٧٦٠٠ -٦٠٠٠ ق.م)**

تواصل الاستيطان في بعض المواقع من المرحلة السابقة مثل نمريك في شمال العراق. وظهرت مجموعة من المستوطنات الجديدة في مناطق غير مأهولة سابقاً، مثل المغزلية في المنحدرات السفلى لجبل سنجار.

كانت أغلب هذه المواقع مثل نظيراتها في المرحلة السابقة صغيرة تراوح حجمها بين ٠,٥ – ١ هكتار أو أكثر قليلاً كما في موقع المغزلية ودير بستان وجرمو. ففي موقع نمريك على سبيل المثال توسع المستوطن وأظهر معالم قرية ذات توزيع وظائفي يدل على فكر إجتماعي واضح، أحتلت هذه القرية مساحة ١,٥-٢ هكتار، وامتدت طولياً بابعاد تصل إلى حوالي ١٠٠x٢٠٠ م. ويتضح من تخطيط القرية أن القسم المركزي فيها أتخذ للسكن وإقامة البيوت فيه بمعدل ٤-٦ بيت دائري ومستطيل في كل دور سكني، وكانت مشيدة على مسافات متباعدة فيما بينها تصل قرابة ٨- ١٢ م بين بيت وآخر. وتقع ضمن مخطط المستوطن ساحة كبيرة مكشوفة تحتل القسم الشمالي منه، سويت أرضيتها وبلطت بالحصى، توزعت في أرجائها بعض الحفر الصغير ومواقد النار( حفر النار)، يبدو أنها أستخدمت كساحة عامة لإقامة بعض النشاطات اليومية المختلفة. ويتبع مخطط القرية مقبرة جماعية تقع خارج نطاق البيوت السكنية سنشير إليها فيما بعد. وعند الجهة الشمالية الغربية لمركز المستوطن هناك مجموعة حفر استعملت لدفن البقايا العظمية للحيوانات التي كانوا يعتاشون عليها مثل الغزلان والأيل والدببة والخنازير البرية والثيران، وبضمنها بعض الحيوانات المدجنة كالأغنام والماعز والأبقار والخنازير. وهي تشير بوضوح إلى أن إقتصاد المستوطن أعتمد أساساً على الصيد وجمع القوت وتدجين الحيوانات. وفي موقع قرمز درة تحرك الاستيطان نحو الجزء الجنوبي من المستوطن وبنيت بيوت شبه دائرية، بينما أصبحت المنطقة السكنية في القسم الشمالي مكان لسلسلة من مباني حجرية دائرية غير محددة الوظيفة والغرض.

وما يلفت النظر في مخطط مستوطن المغزلية وجود سور دفاعي في الطبقات (٤-٣)، والذي يمكن تتبع آثاره على منطقة كبيرة من المنحدرات الشمالية والغربية من المستوطن. وقد بني على أسس حجرية ضخمة، ويستمر إلى جانب بيوت السكنى ولكنه لا يندمج بها، ورغم تحطمه في الزاوية الشمالية الغربية إلا أنه يستمر إلى المندحر الغربي من التل. ويبدو أنه يحيط بجميع المستوطن أو معظم الجزء المعرض للهجوم على جانب الحقل. من الواضح أنه بني على نحو مستقل من المستوطن وإن هناك بعض المزايا الدفاعية ترتبط به، منها ما يمكن أن يكون أسس

لبرج دفاعي. ولم يعثر على أي أثر للسور الدفاعي في الطبقات( ١-٢) ، كما تغيير مخطط المستوطن، وتقلصت حدوده وبدأت الحياة فيه تتجه نحو الإنقراض في المراحل الأخيرة. ينظر الشكل الآتي :

بقايا السور الحجري في موقع المغزلية

وتفتقر القرية في موقع جرمو في الطبقات المبكرة للتنظيم إذ تتوزع البيوت فيها بشكل عشوائي، وإن جميع الفراغات المحصورة بين الغرف والمخازن والساحات لا تدل على أي تنظيم واضح في تقسيمها.

وفي ما يتعلق بالعمارة فإن هناك شبه تعميم للعمارة المستطيلة الشكل في مستوطنات هذا العصر، فبعد أن ظهرت طلائعها في أواخر العصر السابق في مناطق أعالي الفرات في سوريا في كل من مواقع المريبط والشيخ حسن والجرف الأحمر، أصبحت في هذا العصر السمة البارزة في عمارة البيوت السكنية. فقد ظهرت بيوت بمخطط مستطيل أو شبه مستطيل في موقع نمريك منها البيت رقم ٢، بقياس ٦ x٨ م بني من كتل أسطوانية الشكل من الطوف، زود بست أعمدة ضخمة(١م x٠,٥-٠,٨ م) عملت الأجزاء السفلى منها على الأقل من كتل ضخمة من الطوف، وقسم البيت من الداخل بجدران من اللبن. ينظر الشكل الآتي :

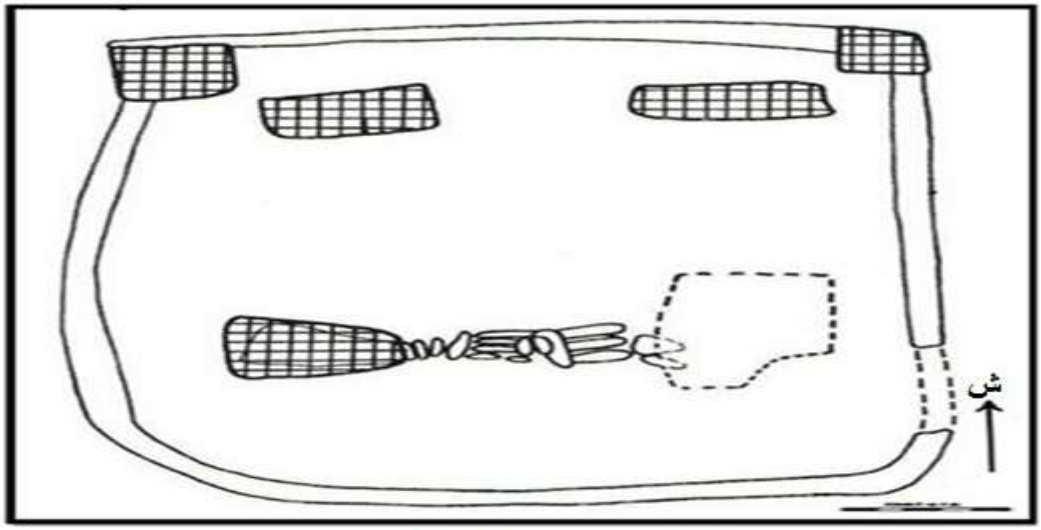


بيت من موقع تمريك بمخطط مستطيل

بينما تم تشخيص عمارة مستطيلة في جميع طبقات موقع المغزلية الذي يقع على المنحدرات السفلى من سلسلة جبال سنجار، على بعد حوالي ٧,٥ كم شمال غرب يارم تبه في الجزء الشمالي من قرية عبرة النجار في منطقة تلعفر، شغل الاستيطان في الموقع مساحة بلغت ١ هكتار. نقبت فيه بعثات روسية للفترات ١٩٧٧-١٩٨٠ و ١٩٨٤، كشفت عن ١٥ دور بنائي في هذا الموقع بمعدل عمق يتراوح ما بين ٥٠- ٦٠ سم لكل منها، ولم تكن هناك فجوات بين الأدوار.

شيدت جدران عمارة هذا الموقع من الطوف على أسس حجرية. الأرضيات كانت قد رصفت بألواح حجرية، ومن ثم كسيت بالطين وغطيت بحجر المرمر، وقد وجدت على أحد الأرضيات قطعة كبيرة من القار مع طبعات الحصير والبردي. واستعملت قواعد من أحجار اللايمستون الملساء كأساس لجدران الطوف، ولم تكن هذه الأسس الحجرية غائرة في سطح، انما وضعت مباشرة على سطح الأرض لارتفاع حوالي ٥٠-٦٠ سم ثم وضعت عليها صفوف الطوف، وهي بذلك تعطي الجدران الطينية قوة ومتانة، خصوصاً وتكون حامية ضد الأمطار والرطوبة المرتفعة. بعض هذه البيوت من الطبقات المبكرة (١٥-٩) كانت صغيرة الحجم وتتكون من غرفة واحدة، وبلغت مساحتها من ١٠-١٢ م مربع. بينما في الطبقات (٨-٥) أصبح البيوت كبيرة المساحة ومتعددة الغرف. وعثر في الطبقة الرابعة على بيت كبير بني بتقنية غير إعتيادية، فقد بني على قاعدة حجرية بسمك حوالي ٨٠ سم، وعملت جدرانه من الطوف. وأستعمل الجص على نحو واسع في بناءه. كانت الغرف الداخلية مستطيلة الشكل، وجدت في غرفة المعيشة بقايا تنور، وتحيط بها غرفة أصغر حجماً، ربما وظفت للخزن لعدم وجود الأدلة المنزلية. وفي بيت آخر كانت غرفة المعيشة قد شغلت مساحة ٩ م مربع تقريباً وبقياس ٥ في ١,٨ م، لها مدخل في الجدار الجنوبي وفي داخلها موقد. وهناك حاجز طيني خفيف لفصل احد الزوايا للخزن.

الغرفة الثانية كانت بقياس ٥,٢٠ x ٥,٨ م كسيت جدرانها الداخلية وأرضيتها بعناية بطبقة رقيقة من الجص، ربما كانت تستخدم للخزن لعدم وجود أية تفاصيل منزلية. ينظر الشكل الآتي :

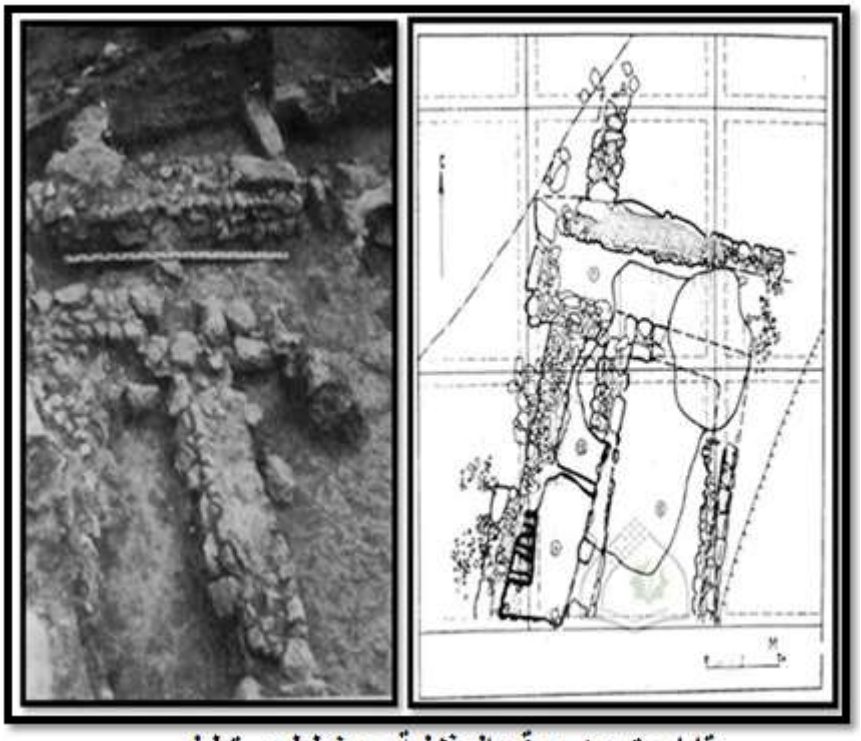

بقايا بيت من موقع المغزلية بمخطط مستطيل

وعثر على مباني مستطيلة بدون أسس حجرية في الطبقات المبكرة في موقع **جرمو**. كما عثر على بعض الأسس الشبكية تشبه تلك التي وجدت في موقع جايونو في جنوب شرق تركيا. وكشف عن عمارة مستطيلة بغرف صغيرة جداً ذات جدران غير منتظمة بنيت من الطوف. ينظر الأشكال الآتية :

بقايا بيت من جرمو بمخطط مستطيل بأسس شبكية

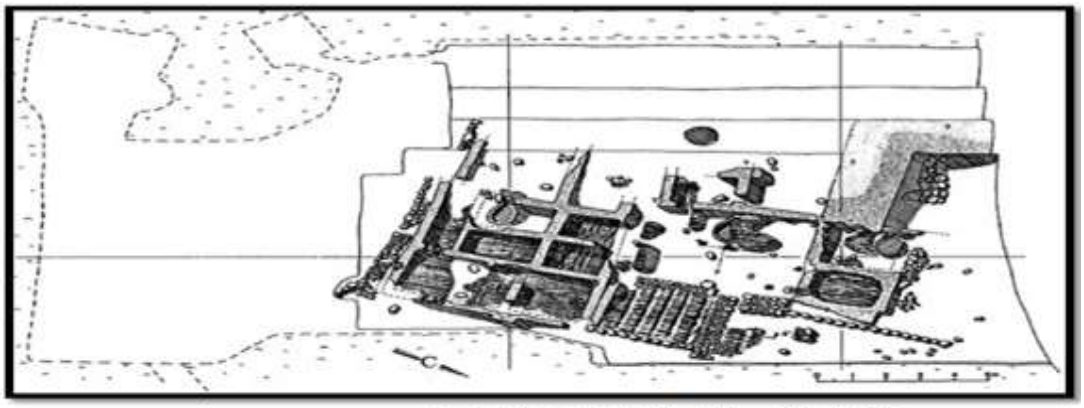

مخطط بيت مستطيل الشكل من موقع جرمو

وفي موقع دير بستان تم الكشف عن عمارة مستطيلة الشكل بغرف صغيرة بنيت من الطوف. بلغ سمك بعض الجدران ٣١-٣٧ سم، الأرضيات عملت من أحجار صفت بشكل متراص، عثر في بعضها على أحجار طحن كما كشف عن مواقد دائرية صغيرة بقطر ٢٠ سم بنيت من الطوف. ينظر الشكل الآتي :

بقايا بيت من موقع دير بستان بمخطط مستطيل

اخيراً نشير إلى أنه رغم شيوع البيوت ذات المخطط المستطيل في هذه المرحلة كما عرضنا أعلاه، لكن البيوت المستديرة ظهرت في بعض المواقع مثل نمريك فقد عثر على مباني دائرية وبيضوية كبيرة بقطر تراوح بين ٦-٨ م، كان القسم السفلي منها غائراً في الأرض، أي أنها أقرب شبهاً بحفر سكنية، بنيت الأقسام العليا منها( الجدران) من كتل الطوف واللبن الطويل الشكل من قياس ٤٠ x١٥x ١٠ سم. قسم البيت من الداخل بواسطة جدران ثانوية مبنية بالطوف أو اللبن طليت بطبقة من الملاط الطيني، وتوزعت داخل البيوت مصاطب أو مدرجات مشيدة من الطين أو الحجارة. أما الأرضيات فقد بلطت بقطع حجارة صغيرة وأحياناً من الطين. كذلك يلاحظ ضمن تصميم البيت وجود عدد من قواعد الركائز مبنية من الطوف الصلب بأبعاد تصل إلى ٧٠x ٢٠ سم بارتفاع ١٠-١٥ سم وهي موضوعة بباطن أسس بعمق ٧٥-١٠٥ سم حفرت لها تحت مستوى أرضيات السكن، وقد وجد أن لكل بيت ٢-٤ من قواعد

الركائز والتي كانت موزعة على أربع جهات داخل المبنى وعلى أبعاد متساوية تقريباً فيما بينها. لم يعثر على أثر لمدخل أو نافذة في الجدران، لذا من المحتمل أن تكون المنافذ في أعلى الجدران أو في السقف تستخدم عوضاً عن الأبواب الاعتيادية. كما في البيت رقم ١ بقطر ٧,٥ م، الذي عثر فيه على أربعة قواعد لركائز يشكل توزيعها مربعاً داخل البناء طول ضلعه ٤,٦ م وهي لا تتوسط بالضبط فضاء البناء بل كانت أقرب إلى الجهة الشمالية الغربية وعلى بعد ٢٠-٥٠ سم منه وتبعد قرابة ١,٥ م عن القسم الجنوبي الشرقي من البناء. بنيت هذه القواعد من حجر الكلس بطول ١٣٠-١٥٠ سم وبعرض ٥٢ -٧٠ سم وبسمك ٨٠ سم تقريباً أستخدمت على الأغلب لحمل ركائز خشبية تساعد على رفع السقف المستوي للبناء، الذي يعتقد أنه شيد من مواد هشة كأغصان وجذوع الأشجار والقصب والطين. ينظر الشكل الآتي :

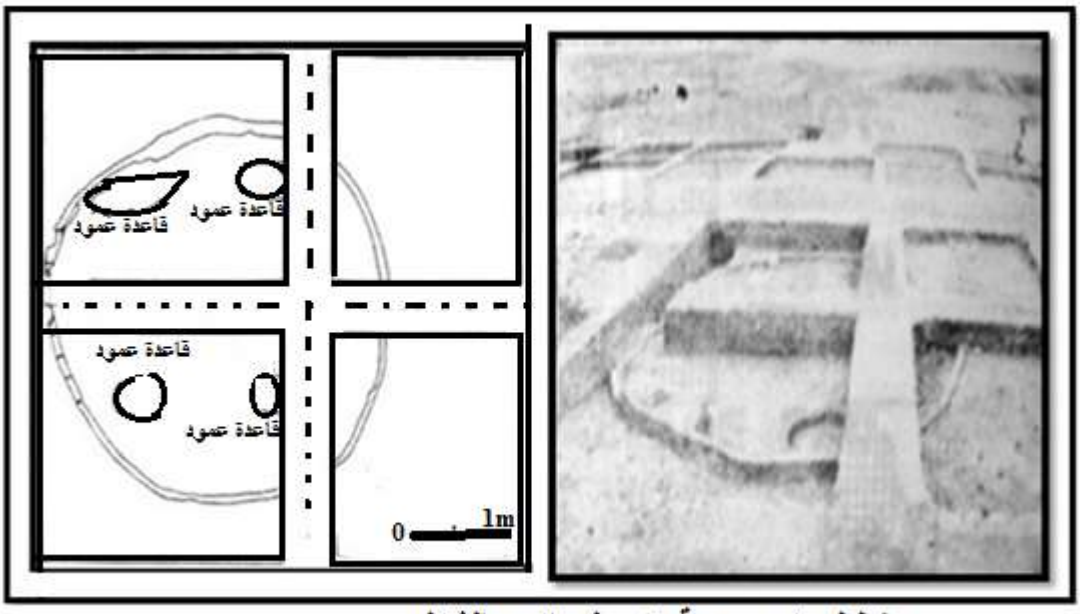


مخطط بيت من موقع نمريك دائري الشكل

**المدافن :**

قدمت طقوس الدفن الجديدة التي تم التعرف عليها في مواقع هذه المرحلة تصوراً جديداً حول العقائد السائدة والارتباط المتطور لعالم الموتى مع حياة القرية. فقد إستمر ظهور القبور في أرضيات البيوت في أغلب مواقع هذه الفترة وكانت حالات الدفن في هذه الفترة أكثر تنوعاً. لكن المدافن الجماعية في أغلب المواقع كانت هي القاعدة مع حفظ الجماجم المفصولة عن الجسد. فمن موقع نمريك ظهرت مقبرة منفصلة تقع خارج نطاق بيوت السكنى عند النهاية الجنوبية الغربية من المستوطن، وجدت فيها بقايا أكثر من ١٥ هيكلاً بشرياً بشرياً دفنت وفق وضعيات وإتجاهات مختلفة. لكن الدلائل تشير إلى إهمال هذه المقبرة في الفترات المتأخرة وتحول المستوطنين إلى دفن موتاهم تحت أرضيات بيوت السكنى. ومن موقع المغزلية وجدت خمسة

قبور تحت أرضية وأسس أحد البيوت، وفي عدة حالات غطيت حفرة القبر بألواح من أحجار مسطحة. يبدو أن الوثائق والأدلة عن الدفن في هذه المرحلة أكثر عدداً ودلالة، فقد كان الدفن يتم تحت أرضية البيوت في معظم الحالات وذلك بعد فصل الجماجم. ينظر الشكل الآتي :

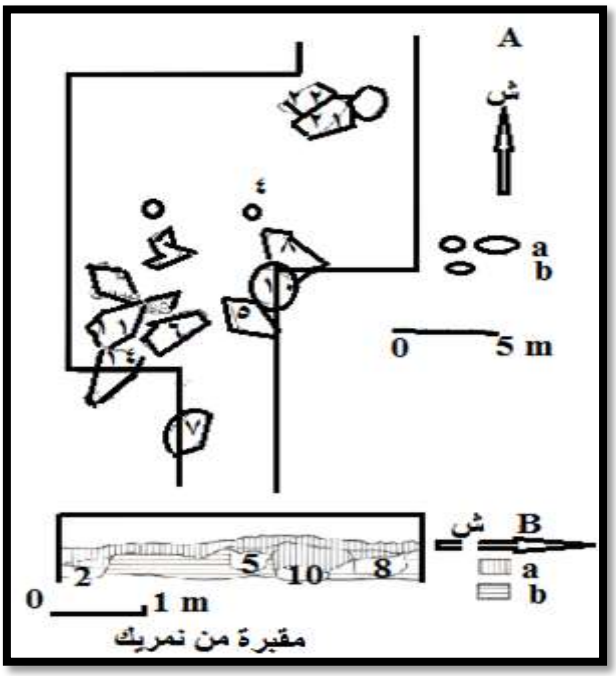


**الخلاصة :**

يبدو من تخطيط بيوت هذه المرحلة أن هناك معرفة للسكان بفكرة تقسيم البيت وفقاً لمتطلباتهم الاجتماعية والاقتصادية حيث قامو بتقطيع مساكنهم من الداخل إلى عدد من الغرف خصص قسم منها للمعيشة وأخرى للخزن أو تهيئة الطعام، كما ألحق بكل بيت باحة مكشوفة وربما حظائر لتربية الحيوانات كما في نمريك وجرمو. بنيت أغلب جدران هذه المباني من الطوف كما في نمريك وجرمو، وبعضها كانت بأسس حجرية كما في جرمو والمغزلية. المخطط الشبكي ظهر في بعض المواقع مثل جرمو. غالباً ما تم الاهتمام بالأرضيات فقد كسيت بالطين كما في موقع نمريك أو بلطت بالحجارة كما في جرمو والمغزلية. بعض المباني ليس فيها مداخل كما في المباني الدائرية في نمريك، ربما تكون في أعالي الجدران أو يتم الدخول عن طريق فتحة في السقف. يبدو أن السقوف عملت من مواد خفيفة كجذوع الأشجار والحصران والطين. غالباً ما كان تحت أرضيات هذه المباني قبور كما في موقع نمريك. وكان هناك إهتمام واضح بالساحات والفضاءات المفتوحة بين البيوت ربما لأداء الأعمال العامة والمشترك.

## ٣- الفن في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (٩٠٠٠-٦٠٠٠ ق.م)

تنوعت الفنون في العصر الحجري الحديث بمختلف مراحله بين رسومات ونحت وتشكيل تماثيل من مختلف المواد الطبيعية من حجر وطين، ومثلت صوراً حيوانية وبشرية وتنوعت المواضيع التي مثلتها. وقد كان لهذه الفنون وآثارها التي خلفها الإنسان هذا العصر التأثير الأقوى في فهم المعتقد الديني في ظل غياب الأدلة الكتابية.

- **الصناعات الحجرية**

كانت الصناعات الصوانية هي أقدم أشكال الصناعات التي أنتجها الإنسان منذ أقم العصور، لذا سمي العصور البشرية الأولى بالعصور الحجرية.وكانت أحجار الصوان وأحجار الأوبسيدين من أقدم أنواع الأحجار التي صنعها البشر. وتميز النوع الأخير منها بصلابته لذا أستخدمت شظاياه ذات الحافات الحادة في تقطيع اللحوم وسلخ جلود الحيوانات. ينظر الشكل الآتي :

أما النوع الآخر من الأحجار فهو الحصى، وهو متوفر بكثرة قرب ضفاف الأنهار ، وأمتاز بصلابته الشديدة، لذا من الصعب تشكيله وفق الحاجة، خاصة وأنه يتهشم أثناء عملية تصنعيه، لذا قلت الألات المستخدمه منه في تلك العصور.

من أبرز الأدوات والآلات الحجرية أدوات الحصاد التي كانت عبارة عن فؤوس يدوية كبيرة جيدة الصناعة تستخدم للطعن والضرب. منها الفأس اليدوية على شكل لوزة أو ثمرة الكمثري التي صنعت من حجر الصوان، ويكون أحد جوانبها حاداً ومسنناً، وتستعمل للقطع أو لإخراج جذور النباتات. وهناك المجارش والمدقات والهاونات الحجرية، فضلاً عن الشظايا الحجرية الصوانية، مثل المقاشط والسكاكين والمثاقب ورؤوس السهام وغيرها، ينظر الشكل الآتي :

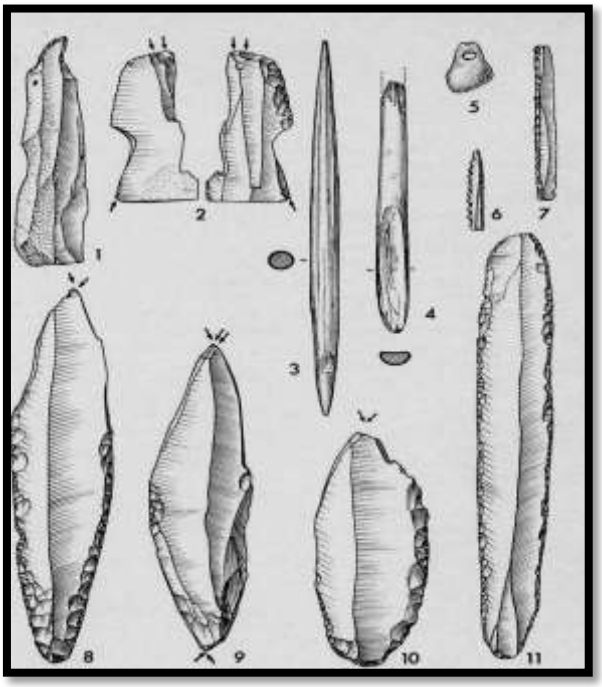

فضلاً عن الأدوات الحجرية هناك مجموعة من اللقى الفنية، كان من أهمها وأبرزها الدمى الصغيرة ذات الاشكال البشرية والحيوانية والتي عملت من مختلف المواد الموجودة في الطبيعة من الطين والحجر والعظم. الدمى الحيوانية منها كان أغلبها مصنوع للأطفال على نحو غير متقن ولا تتمتع بأية قيمة فنية. أما تلك التي تعتمد على الشكل الإنساني أو تتخذ صفت الإنسان فهي ذات مغزى ديني أو سحري يضعها في دائرة التماثيل المعبودة. وقد عثر على هذه الدمى بأشكالها المختلفة في معظم مواقع العصر الحجري الحديث.

والاكثر وروداً بالنسبة للتماثيل البشرية كانت الدمى الأنثوية، والتي كان الشكل العام لها ما عرف بالإلهة الأم. ويعد هذا الشكل الأنثوي أقدم نموذج فني يجسد الديانة في العصور الحجرية القديمة. وغالباً ما ظهرت بشكل المرأة العارية السمينة المكتنزة. وفكرة هذا التمثيل قديمة تعود بجذورها للعصور الأقدم في أوربا(الحجري القديم الأعلى).

والإلهة الأم كانت رمزاً للخصوبة، فهي القوة الخلاقة للأنثى باعتبارها مصدراً الحياة التي تطورت من خلالها أقدم تجربة دينية،الإلهة الأم التي تلد كل المخلوقات من الظلمة الحالكة في رحمها، لتصبح تعبيراً عن الطبيعة نفسها. وقد وجدت التماثيل الذكرية في أماكن العبادة بينما وجدت الأنثوية في كل مكان. فالحياة الروحية مرتبطة في العصور الحجرية القديمة مع النظام الاجتماعي والاقتصادي. فالمرأة المتفرغة بعد أن أصبحت الزراعة أساس الاقتصاد تمثلت بالدمى الأنثوية. وهي رمز خصوبة الأرض مقترنة بالخصوبة النسوية. وبالنتيجة أصبحت النساء مسؤولات عن الوفرة في المحاصيل لأنهن يعرفن سر الخلق. إنه يتعلق بسر ديني، لأنه يحكم أصل الحياة، الغذاء والموت.

للأسف فإن المواقع التي تمثل هذا العصر في العراق القديم قليلة ولم يعثر فيها إلا على القليل من هذه النماذج، ولم تكن واضحة المعالم، لكنها ستظهر وبكثرة في مواقع العصر الحجري الحديث الفخاري التي سنتكلم عنه لاحقاً.

فمن موقع زاوي جمة شانيدار وعلى بعد حوالي ٣ أمتار من البقايا البنائية وجدت بقايا لجماجم ماعز وأغنام وعظام أجنحة لطيور كبيرة، يعتقد أن وجود أجنحة الطيور هذه قد يعكس نوعاً من طقوس وشعائر دينية. ومن خلال موجودات ولقى البناء رقم(١) أفترض أن لهذا البناء أو لجزء منه وظيفة خاصة قد تكون طقوسية.

وعثر في موقع نمريك على مجموعة من الرؤوس الطينية لحيوانات، منها مجموعة من ٢٠ منحوتة حجرية فريدة، صنعت من مادة الحصى النهري المتوفرة قرب الموقع. وتعد من أقدم أنواع النحت المجسم المعروفة من مواقع العراق القديم، نفذت بأسلوب واقعي بعضها غير مكتمل النحت، تظهر البراعة والمهارة العالية في النحت، وهي منحوتات صغيرة الحجم لا تزيد أطوالها عن ١٠ سم. ضمت هذه المجموعة تماثيل لنساء وربما العضو الذكري للرجل، فضلاً عن أشكال حيوانية ربما تمثل أفعى وأسد. ولكن الأكثر أهمية منها كانت مجموعة رؤوس طيور منها النسور والحباري. وتظهر هذه الرؤوس بأعناق طويلة ومجسمة. يحتمل أن هذه التماثيل كانت توظف لأغراض دينية، فهي ربما تمثل آلهة محلية، أو أنها كانت استمرار لتقاليد عبادية كانت قد ظهرت في موقع زاوي جمة شانيدار كما أشرنا أعلاه. كما أنها تشبه وتماثل أدلة من مواقع في سوريا مثل المريبط وفي تركيا مثل موقع جعفر هويوك. أو يمكن أن تكون مجرد منتجات حرفيين محليين. ينظر الاشكال الآتية :

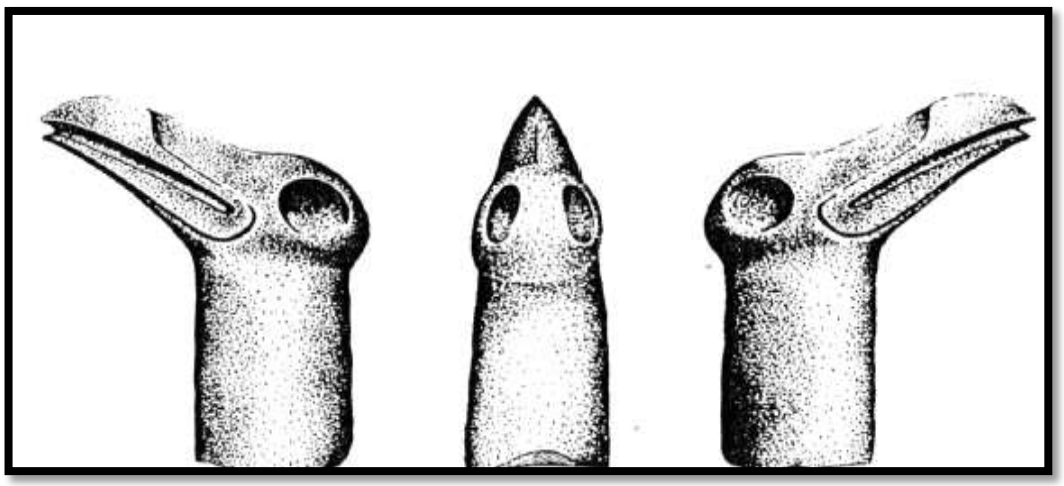

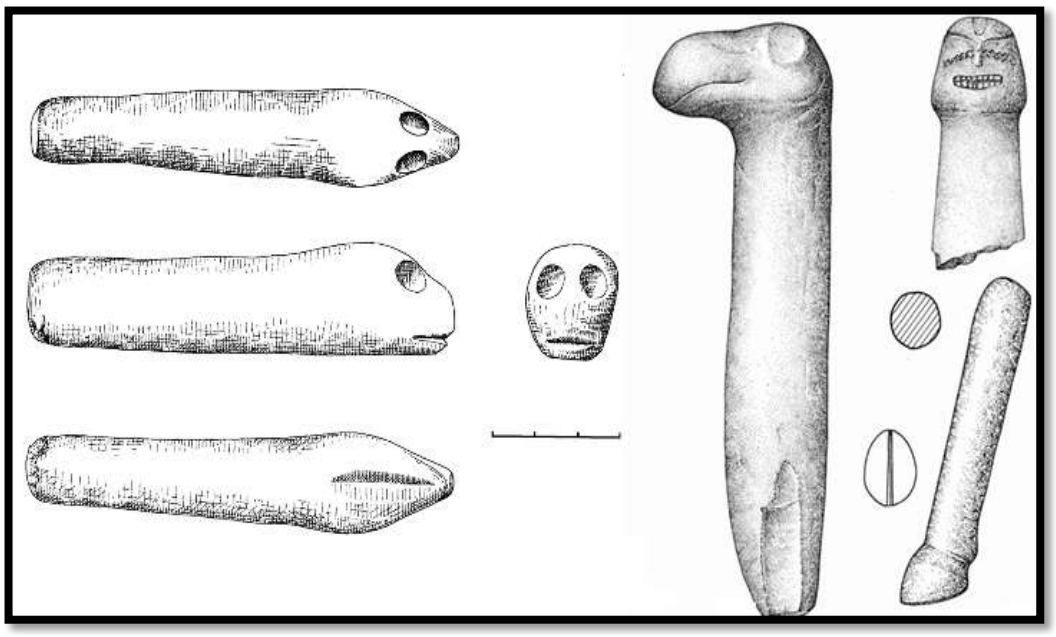

## الفصل الثالث

## العمارة في العصر الحجري الحديث الفخاري (٦٠٠٠- ٥٠٠٠ ق.م)

شغل الاستيطان في العصر الحجري الحديث الفخاري بمختلف أدواره الحضارية أجزاء واسعة من شمال بلاد وادي الرافدين، فقد سكنت مناطق جديدة لم تشغل في العصور السابقة، ظهرت فيها مستوطنات جديدة شغلت مناطق سفوح التلال والسهول القريبة مثل وادي سنجار في شمال العراق. يبدو أن سكان الجبال كانوا قد إنطلقوا نحو المناطق السهلية وبدأوا عملية إستثمار مكثف للأراضي الخصبة الجديدة، الأمر ساهم بشكل ملحوظ في تطور مجتمعاتهم وجعلها قريبة جداً من عتبة الحضارة. كانت هذه المستوطنات في البداية صغيرة الحجم، لا تتعدى مساحتها الهكتار الواحد توسعت مع مرور الزمن إلى هكتارين أو أكثر. أعتمد سكان هذه المستوطنات على نظام إقتصادي متنوع كانت الزراعة هي الأساس فضلاً عن رعي الحيوانات المدجنة وصيد البرية منها. وتميز هذا العصر بظهور الصناعات الفخارية، التي شهدت إزدهاراً وتطوراً وإنتشاراً على نطاق واسع، وكانت بأنواع وتقنيات مختلفة. ويبدو أن إنتاج الفخار إقترن بشكل رئيسي بالاستقرار والزراعة.

وفي مجال العمارة إستمرت العمارة المستقيمة(المستطيلة والمربعة) التي كانت سائدة في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب السابق، وكانت مادة البناء في الأغلب من الطوف، وتضمنت بيوت مستطيلة بغرفة واحدة أو بعدة غرف، غالباً ما تكون مع تجهيزات منزلية مثل مواقد النار ووسائل خزن، أو مخازن مغلقة كما في موقع أم الدباغية. يبدو أن هذه البيوت كانت تسكن من قبل عائلة صغيرة(الأبوين وأبناؤهم) والتي شكلت الأساس الذي قامت عليه مجتمعات هذا العصر والعصور الأقدم. ولكن مع تقدم حضارة حسونة- سامراء حدثت زيادة واضحة في العمارة المعقدة أو المتطورة، وخاصة في مواقع حسونة ويارم تبة١، إذ أصبحت البيوت السكنية أكبر، وربما كان بعضها بشكل حرف (T)، كما ظهرت مباني مسيجة، ربما كانت ذات طبيعة دفاعية، مع ظهور الدعامات الخارجية للبيوت والتي بنيت من الآجر الطيني المجفف بالشمس. كذلك ظهرت سمة عمارية جديدة تمثلت بالحفر ذات القاع الحجري، ربما للسكن أو الخزن. وكانت المباني الدائرية شائعة أيضاً وخاصة في أواخر هذا العصر وتحديداً في دور حضارة حلف الذي ظهرت فيه المباني التي عرفت ب( الثولي).

تقليدياً كان تعاقب حضارات ما قبل التأريخ في أعالي بلاد وادي الرافدين في هذا العصر وفق الترتيب المتعارف عليه للثلاثي الحضاري الكلاسيكي، **حسونة، سامراء وحلف**، وهو تعاقب وضع في القرن الماضي ولا يزال معمولاً به حتى الآن.

لكن غالباً ما يشير الباحثون إلى دور حضاري فخاري متميز يسبق الأدوار الثلاث أعلاه، عرف بحضارة ما قبل حسونة مثلته مجموعة من المواقع منها أم الدباغية وتل سوتو وكول تبة وتلول

الثلاثات في شمال العراق. غالباً ما حملت هذه المواقع سمات عمارية مشتركة منها وجود حفر فسرت على أنها مساكن، رغم ضعف الأدلة، والمداخل الضيقة وسمك الجدران ووجود المخازن.

**أنواع المباني العمارية في العصر الحجري الحديث الفخاري**

قدمت مستوطنات هذا العصر أنوع مختلفة من المباني العمارية منها **مباني سكنية ومباني دينية ومباني ذات طابع إقتصادي**( مخازن). تنوعت مخططات هذه المباني فمنها المستطيلة والدائرية التقليدية، وأخرى دائرية من نوع عرف بمباني الثولي، فضلاً عن أنواع أخرى من المباني سنشير إليها في ثنايا هذا الفصل.

**١ – المباني السكنية**

شغلت المباني السكنية أقسام واسعة من أغلب المواقع الأثرية، فهي بحكم وظيفتها المتمثلة في إيواء الناس وحمايتهم نالت إهتماماً كبيراً ، وعمل الإنسان على تطوير شكل تصميم البيت بمرور الزمن ووفق الحاجة. لذلك ظهرت هذه البيوت بأشكال وتصاميم ومخططات مختلفة حددتها الحاجة ونوعية المواد الأولية المتوفرة في البيئة ومرونة المعمار في معالجة هذه المواد. عموماً إن الخبرة التي إكتسبها الإنسان خلال أدوار هذا العصر والعصور السابقة ساهمت في تطور العمارة بصورة عامة وفي شكل البيوت بصورة خاصة. سوف نستعرض أهم أشكال ومخططات البيوت السكنية في مواقع هذا العصر.

**أ– الحفر**

تعد هذه الحفر من أبسط أشكال البيوت في المستوطنات الزراعية وسبق ظهورها تأسيس البيوت المبنية من الطوف واللبن والحجارة، وتتمثل بحفر بسيطة. ظهرت هذه الحفر في هذا العصر في بعض المواقع وخاصة في الطبقات السفلى الواقعة على الأرض البكر، منها مجموعة حفر في موقع **سوتو**، قرب تلعفر غرب نينوى، كانت مستطيلة الشكل بأحجام مختلفة حفرت إلى الأرض البكر بعمق ٤٠–٤٥ سم، يفترض أنها غطيت بسقف، بعض منها ربما كانت مساكن شبه مجوفة على طراز نظيراتها في مواقع ملفعات وقرمز درة التي أشرنا إليها في الفصل السابق.

وعثر على حوالي ٨ حفر في الطبقة ١٦ في التل الثاني من **تلول الثلاثات**، حوالي ٥٥ كم غرب نينوى، تقع مباشرة على الأرض البكر، بيضوية الشكل تقريباً بقياس ٢,٧٥ X ٢,١٥ م، تكفي لنوم شخص واحد فيها، فسرت على أنها مساكن للسكان الذين كانوا يجهلون تقنية البناء بالجدران الطينية، وتم ذلك على أساس أن حجمها يكفي للسكن المؤقت ولوجود المواقد في داخلها، والأنقاض الموضوعة على أرضياتها المكسية بطبقة طينية، فضلاً عن وجود درجة (سلمة) تؤدي إلى الحفرة في إحدى الحالات. وفي موقع مطارة، الذي يقع على بعد حوالي ٣٤ كم جنوب كركوك. وهو تل بيضوي صغير قطره حوالي ٢٠٠ م وإرتفاعه حوالي ٨ م. كشفت فيه عن خمس طبقات مع تجديداتها ظهرت على الأرض البكر، كشف عن حفر بيضوية الشكل

تقريباً في الطبقة الخامسة، يتراوح طولها بين ٢-٤ م ويبلغ معدل عرضها حوالي ١م تقريباً، تكفي مساحتها لإتخاذها مسكناً في وقت سبق ظهور المساكن الثابتة في هذا الموقع. ينظر الشكل الآتي :

مجموعة حفر من موقع الثلاثات في شمال بلاد وادي الرافدين

وعثر عليها في موقع **يارم تبة ١**، الذي يقع في أقصى الشرق من مجموعة ستة تلال تقع على بعد حوالي ٧ كم جنوب غرب مدينة تلعفر شمال غرب نينوى في شمال العراق. تقدر مساحته ب ٢ هكتار، إرتفاعه ٤,٥ م عن مستوى السهل الحالي، وقطره ١٠٠- ١٢٠ م ، وبلغت ترسباته أكثر من ٦ م، ضمت ١٢ طبقة بنائية تعود جميعها لحضارة حسونة، ظهرت أسفل مباني الطبقة ١٢، وفي عدة أماكن، حفر متنوعة بعضها بقياسات كبيرة ( ٤ x٣ م) وبعمق ١ م، وهي بشكل عام غير منتظمة الشكل، وجد في زوايا بعضها مواقد. عموماً إن شكلها ومميزات جوانبها وأرضيتها لا توحي بأنها كانت أماكن للسكنى، كما في الشكل الآتي :

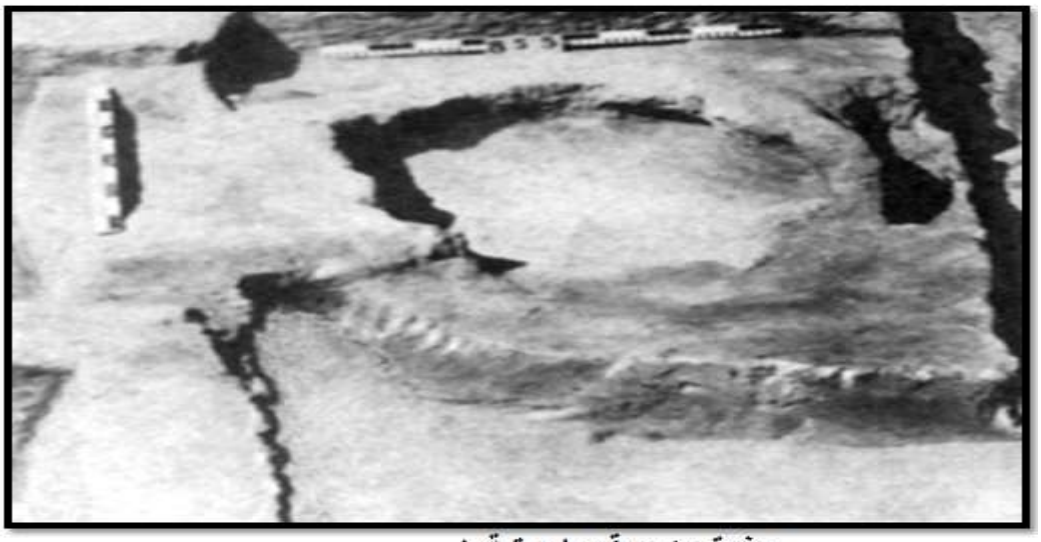

حفرة من موقع يارم تبة ١

عموماً إن هذا النوع من المساكن المفترضة لم يكن شائعاً في منطقة أعالي بلاد وادي الرافدين، حتى أن هناك من الباحثين من فسر هذه الحفر على أنها مقالع للحصول على الطين للبناء أكثر من كونها أماكن للسكن. ينظر الشكل الآتي :

حفر يستخرج منها الطين لبناء البيوت في القرى الحديثة

**ب-المباني المستقيمة( المستطيلة والمربعة)**

سادت العمارة المستقيمة في أغلب مواقع هذا العصر، وقد ظهر هذا النوع من العمارة في أول الأمر على شكل بيوت ذات غرف غير مضبوطة المقاييس ثم تطور بمرور الزمن فأصبحت ذات أشكال منتظمة تقريباً كما تابعنا ذلك في الفصل السابق. كانت الطبقات الأقدم ٤-٣ في موقع **أم الدباغية**، حوالي ١٥ كم غرب الحضر في نينوى، هي الأكثر تنظيماً، وقدمت نماذج عمارية متطورة بالمقارنة مع الطبقات المتأخرة. تشير مخلفات الطبقة ٤ إلى وجود مخططات بيوت شبه منتظمة، وذلك لأن البقايا المعمارية لأسسها وجدرانها لم تكن منتظمة بشكل جيد تتخللها جدران منحنية وزوايا غير قائمة عند إلتقاء جدرانها بعضها بالبعض الآخر. تقع هذه البيوت غرب وجنوب غرب الموقع وتتكون من بيوت متجاورة بسيطة في تخطيطها، غالباً ما كانت مستطيلة الشكل، وكل وحدة بنائية تتكون من غرفتين أو ثلاث تقع أبوابها على محور واحد، وهذه الغرف بقياس ١,٥ x٢ م. أن بيوت السكنى في أم الدباغية في (ط ٣،٢،٤) لا تتعدى عشرة وحدات سكنية في كل طبقة ما عدا الطبقة الأولى فلم يبقى من أبنيتها سوى جدران لا تعطي صورة كاملة عن معالمها. ينظر الأشكال الآتية:

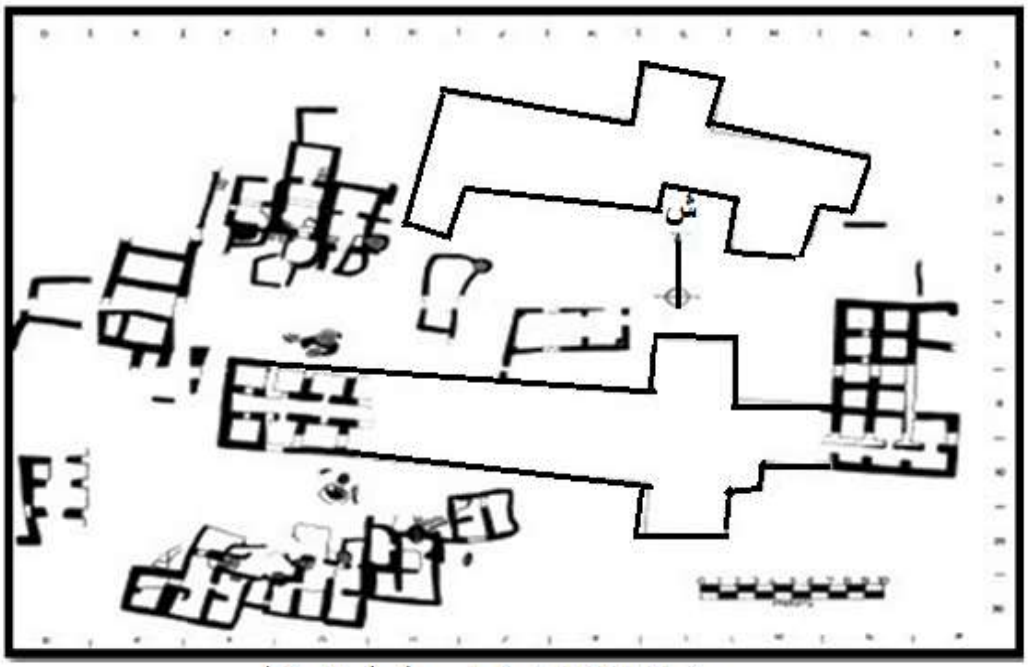

مخطط الطبقات ٣ـ٤ في موقع أم الدباغية

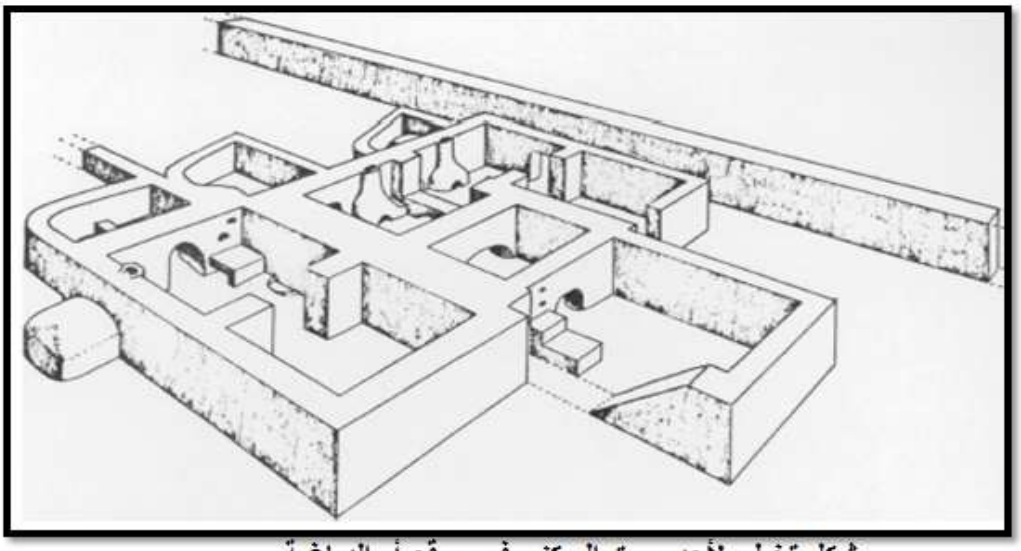

شكل تخيلي لأحد بيوت السكنى في موقع أم الدباغية

وعثر في الطبقات العليا الفخارية في موقع **جرمو**، قرب جمجمال في السليمانية، على مباني مستطيلة متعددة الغرف( بقياس ١,٥ X٢ م) قامت على أسس حجرية غير منتظمة تتألف من صف واحد من الحصاة المدورة النهرية وخاصة الكلس، كما ظهرت أحجار أو صنارات الابواب على نفس المستوى مع أحجار الأسس مما يدل على حدوث تطورات عمارية في هذه المرحلة. وبلطت أرضياتها فوق طبقة من القصب، وجدت في داخلها تنانير لعمل الخبز تشبه التنانير التي يصنعها القرويون هذه الأيام. وكانت البيوت بشكل عام متاخمة لبعضها البعض، وفي حالات أخرى وجدت قائمة وسط ساحات مفتوحة. ينظر الشكل الآتي :

أسس حجرية لبيوت بمخطط مستطيل من موقع جرمو

قسم داخل أحد البيوت إلى سبع أماكن مستطيلة، من غير الواضح إن كانت جميع هذه غرف حقاً، لأن جدران الطوف الداخلية ربما لا تمتد جميعها إلى السقف. الغرفة الطويلة كانت بقياس ٥,٦ x ٢,٢ م تتجه شمال– جنوب على طول الواجهة الشرقية من البيت، وهناك ردهة ضيقة على طول الواجهة الجنوبية تؤدي إلى هذه الغرفة، وربما هناك ايضاً مدخل في الجدار الشرقي. وتوجد بقايا جدار من الطوف، كان على ما يبدو قد أضيف على أرضية القصب لتقسيم الغرفة الطويلة إلى قسمين شمالي وجنوبي. ترتيب الغرف الأربع شمال البهو ،على طول الجانب الغربي من البيت، كان متراصاً، وهي غرف صغيرة جداً، حوالي ٢ x١,٥ م. إحدى هذه الغرف كان فيها فرن، ربما كانت توقد فيه النار من ساحة على الجانب الغربي، إثنين من الغرف في الشمال ربما كانت مخازن (bins) لخزن الحبوب، والغرفة الرابعة إلى الشرق ربما كانت مخزناً.

كان الاستيطان محدوداً في الطبقة الثانية من تل سوتو، حوالي ١٠ كم جنوب غرب تلعفر غرب نينوى، فهناك حوالي ٤–٥ بيوت كانت بعمارة مستطيلة الشكل تألفت من غرفة واحدة مستطيلة بمساحة حوالي ١٨–٢٠ م مربع، فقد عثر في الطبقة السابعة على بيت سكني بمخطط مستطيل بطول ٨ x٣ م عرضاً، بني من الطين الأخضر، وكان أقصى سمك للجدران ٤٠ سم، مع وجود فتحة باب بعرض ٥٥ سم مع عتبة باب. ينظر الشكل الآتي :

كانت التنقيبات في **تل حسونة**، قرب الشورة ٣٥ كم جنوب نينوى، أول من قدم معلومات مفصلة لمستوطن قروي زراعي ذا استيطان كامل في بيوت من كتل الطين، وباقتصاد مختلط، وهي تتشابه في العديد من الأوجه مع المستوطنات الزراعية التي تملأ السهل الرافديني في الوقت الحاضر. وموقع حسونة عبارة عن تل بيضوي الشكل يغطي مساحة تقدر بحوالي( ٢,٥ هكتار) ويصل إرتفاعه إلى حوالي ٧ م، مثلت هذا العصر الطبقات من ١-٦. وقد حددت ثلاث مراحل في تطور عمارة هذا الموقع، الأولى عبارة عن غرف صغيرة ذات جدران غير منتظمة مشيدة بالطوف كانت مرتبة حول فناء مفتوح. ففي الطبقة الأولى كانت العمارة بسيطة بعض الشيء، إذ عثر على غرفة مفردة كان قد أعيد بناؤها وإندمجت مع مبنى آخر ضم على الأقل ٣ غرف. كما وجدت مباني مستطيلة متعددة الغرف صفت حول ساحة وسطية. الجدران كانت متنوعة في سمكها ما بين ٢٠ إلى ٤٥ سم عملت من كتل الطوف. ووجدت بقايا لبناء مدور مميز بقطر حوالي ٧,٥ م، ومقسم من الداخل بواسطة جدران تقع عمودياً تقريباً على جداره المدور من الداخل، وقد أثبتت مخلفاته من أفران وبقايا رماد خشبي وظيفته المنزلية.

في المرحلة الثانية أصبحت الغرف أكثر عدداً وأقرب إلى الشكل المستطيل منه إلى الشكل المربع كما يظهر ذلك في مباني الطبقة الثانية التي تظهر عمارة أكثر تقدماً ذات غرف مستطيلة وطلعات داخلية، غير أن بعض الجدران لا زالت تبدو منحنية، كما وجدت بعض ساحات وتنانير الخبز فضلاً عن حفر التحميص. ينظر الشكل الآتي :

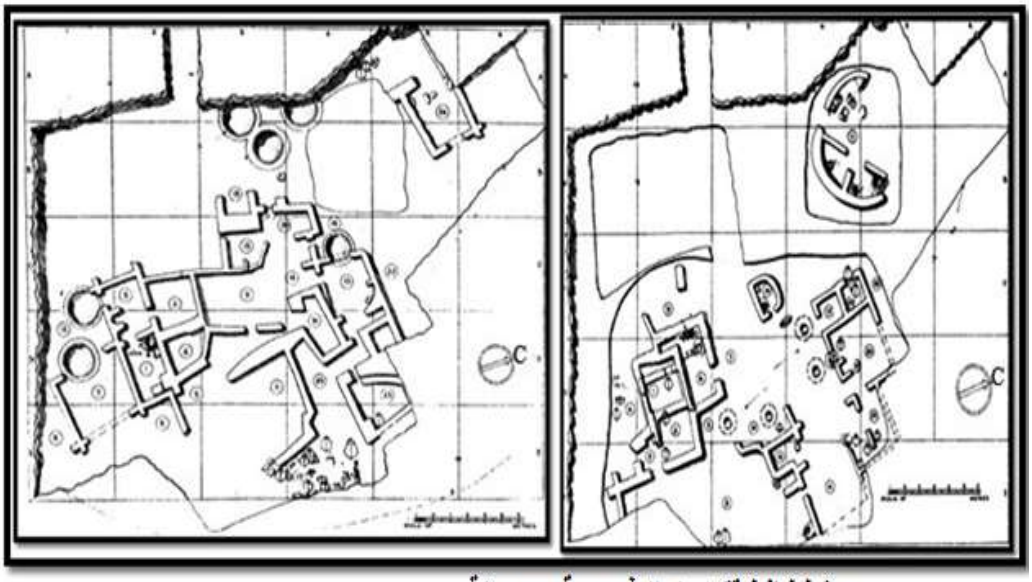

مخطط الطبقتين ١-٢ في موقع حسونة

وتميزت القرية في المرحلة الثالثة بمساكنها التي كانت أكثر إنتظاماً وذات مخطط معتنى به، وإحتوى البيت الواحد ممرات ومخازن في داخله، فضلاً عن مرافق عديدة إضافية مثل المخازن والزرائب وكانت مفصولة بواسطة حوافات من الحصران أو الشوك أو الطوف، ويلاحظ أن الدكاك والطلعات أستخدمت على شكل دعامات داخل البيوت. ففي الطبقات من ٣-٥ بنيت البيوت وفق مخطط مستطيل منتظم وضمت عدة غرف كبيرة وصغيرة رتبت حول ساحات ويفصل بينها ممرات ضيقة. فقد ضمت الطبقة الثالثة بيت كبير بمخطط ذو غرف متعددة تتمحور حول ساحة مفتوحة، وكانت هذه الغرف تنفصل بواسطة ممر ضيق من بيت آخر. كما ظهرت أكثر من ٣٠ حفرة مما عرف بمخازن الغلال وهي في الغالب كروية الشكل في أعلاها فوهة واسعة،عملت من الطين الدقيق والتبن ومطلية من الداخل بطبقة رقيقة من الجص ومن الخارج مطلية بالقير من أجل منع تسرب الماء والرطوبة للمحاصيل والقوارض. بشكل عام كانت بقطر ١م، على الرغم من أنه وجد منها بقطر ١,٥٠ م وأخرى صغيرة بقطر ٦٠ سم، وقد وضع في إحداها هيكلان بشريان. ينظر الشكل الآتي :

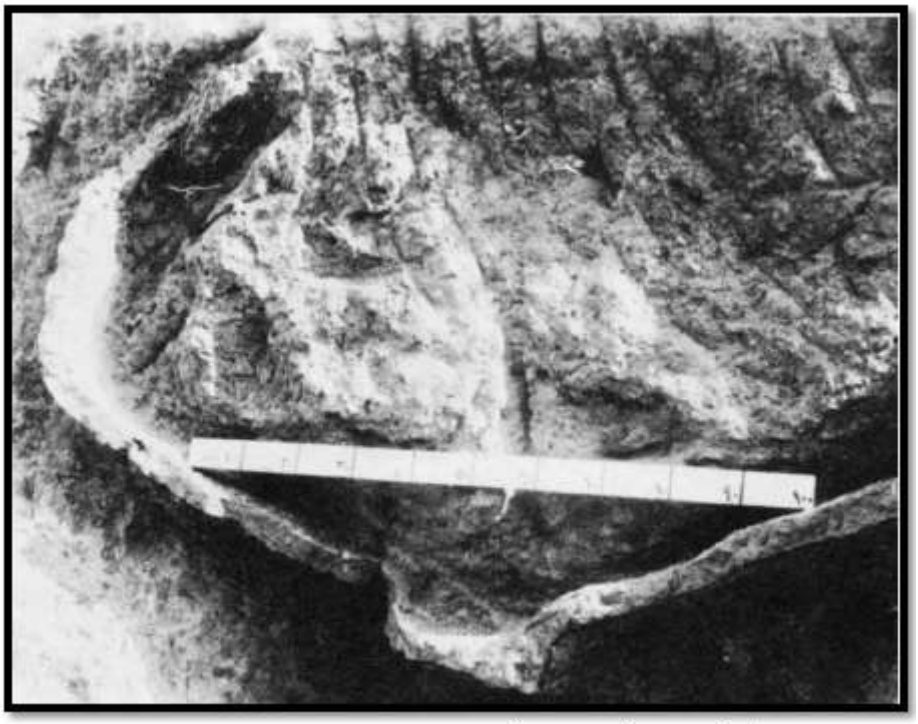

حفرة من موقع حسونة

قدمت الطبقة الرابعة صورة تفصيلية مقنعة عن قرية من عصور ما قبل التاريخ وطبيعة بيوتها. فقد ظهرت فيها عمارة محكمة، منها أجزاء كبيرة من بيتين، بنيا بالطوف وبجدران مطلية، يشبهان في مخططهما بيوت الفلاحين في قرية حسونة الحديثة، بقي منهما ما يقارب١ م إرتفاعاً. تألف إحداها من فناء واسع مكشوف في وسطه موقد، وفي جانبه الشرقي خمس حجرات، والجنوبي حجرة واحدة. ومقابل الحجرات الخمس هناك ما يشبه رواق مكشوف يفصل بينه وبين الفناء دكة إتخذت لوضع الآنية الفخارية فوقها حفظاً لها من الكسر. وكانت أرضية الحجرات مفروشة بملاط من الطين الدقيق فيه تبن ناعم. يبدو أن بعض الغرف كانت عبارة عن مخازن. ينظر الشكل الآتي :

شكل تخيلي لبيوت بمخطط مستطيل من موقع حسونة ـ الطبقة ٤

بعض من العمارة في الطبقة الخامسة ربما شكلت جزء من مباني بشكل حرف (T) المعروف في موقع تل الصوان وربما في موقع مطارة. أما الطبقة السادسة فكانت فقيرة في محتوياتها فقد عثر فقط على بقايا فرن صغير.

كشف في موقع **كول تبة**، قرب تلعفر غرب نينوى، عن بقايا عمارة منفردة لبيت سكن مستطيل الشكل محفوظ جيداً في الطبقة الأولى، يغطي مساحة ١٤ م مربع تقريباً، يشبه نظيراته في سوتو وأم الدباغية، وهو ينقسم إلى ثلاث أقسام بمدخل رئيسي عرضه الأصلي ١م قلص فيما بعد إلى ٧٠ سم، يقع في أحد الجدران القصيرة. وهناك مباني أخرى مستطيلة تجاور هذا البيت. بينما كشف عن عمارة مستطيلة في الطبقة ١٥، منها بيت مستطيل الشكل ٣ x ٣,٥ م فيه أربع غرف، جدرانه غير منتظمة العرض، كانت الغرف بأحجام متباينة ١,٥ x ١,٤ م إلى ٢,٣ x١,٢م. ينظر الشكل الآتي :

بقايا بيت من موقع كول تبة بمخطط مستطيل

في موقع **يارم تبة** ١ ظهرت البيوت المستقيمة متعددة الغرف، وهي تؤشر كثافة بنائية كبيرة في بعض أجزاء الموقع، فقد كشف في الطبقة الرابعة مثلاً عن مجموعة مباني كبيرة مفصولة بممرات وساحات مجصصة، وقد توسعت هذه المباني بإضافة غرف جديدة وسقفت الممرات.

وظهرت في الطبقات من ٣-١ مباني مستطيلة متعددة الغرف مرتبطة بممرات مملطة بالجص أيضاً. بنيت من كتل طينية وضعت عمودياً، وهي بقياس ( ٤٥ x ٣٥x ٢٠ سم). ويرى المنقبون الروس أن هذا سبب وجيه يدعم فرضية أن هذه التقنية استخدمت في عصر حسونة من خلال تشكيل كتل طينية قياسية، وأن هذه العملية أدت في النهاية إلى شيوع أستعمال الآجر الطيني. ينظر الشكل الآتي :

مباني من موقع يارم تبة ١ بمخطط مستطيل

وعثر في **موقع مطارة**، حوالي ٣٤ جنوب كركوك، في الطبقات ٤-٣ على بيوت مستطيلة الشكل متعددة غرف. في حين قدمت الطبقات ٢-١ عمارة منتظمة، منها بيت في الطبقة ٢ بأربع غرف، بقياس ٢ x١ م و ٢ x ٣,٥ م، بينما وجدت بناية أخرى أكثر سعة في الطبقة ١ ضمت حوالي من ٤ إلى ٦ غرف، الأكبر منها بقياس ٥ x٣,٥ م، ولو أن الغرف بشكل عام تميل للصغر ٢ x١,٥م. ينظر الشكل الآتي :

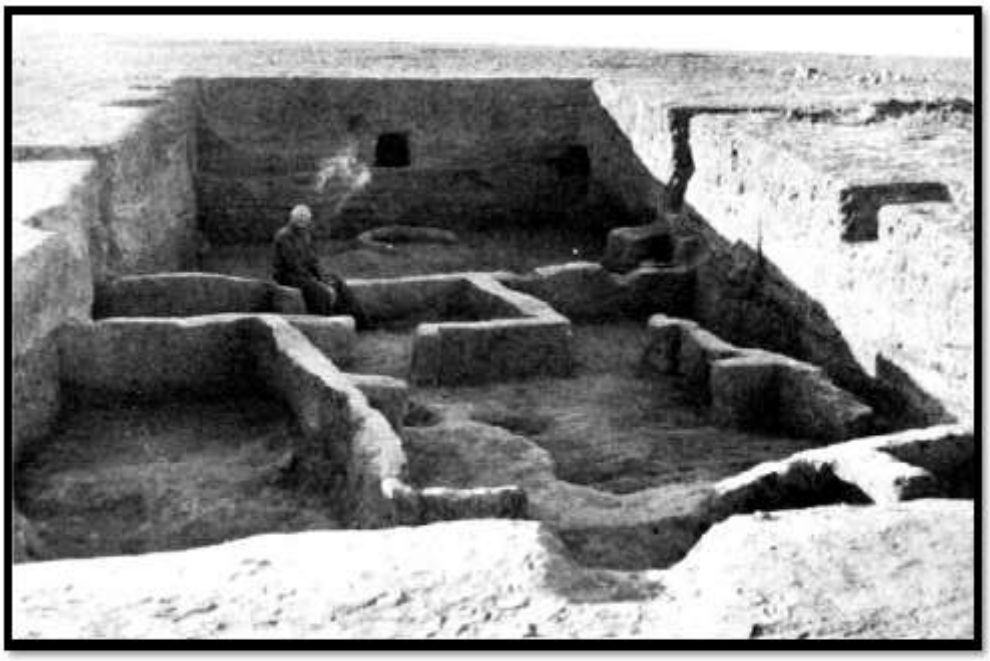

ورغم شيوع المباني بمخطط أرضي دائري( الثولي) في حضارة عصر حلف إلا أن المباني المستطيلة وجدت كذلك في أغلب المواقع الحلفية. فقدم موقع الاربجية، حوالي ٦ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة نينوى القديمة، في أطراف مدينة الموصل الحالية على الجانب الشرقي من نهر دجلة، عمارة مستطيلة تكونت من بيوت متقاربة مع بعضها، أهم ما في الطبقة الرابعة المبنى الذي عرف باسم البيت المحروق وهو عبارة عن بيت فسيح يقع في وسط الموقع، يتكون من عدة غرف مستطيلة ومربعة متباينة المساحات، بنيت جدرانها من الطوف، بعضها بسمك نصف متر تقريباً، والسقف من الطين المضغوط والخشب والحصران، أما الأرضيات فمطلية بطلاء من الطين الناعم. وجدت فيه مصطبتان ربما استخدمتا لتقديم القرابين، كما يظهر في الشكل الآتي :

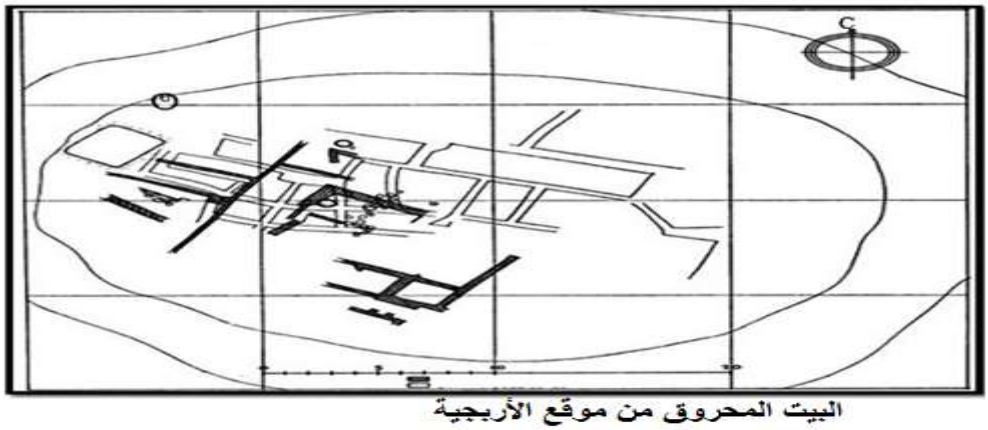

البيت المحروق من موقع الأربجية

أعتقد السيد (ماكس ملوان) أنه بيت شخصية كبيرة، زود بورشة عمل الآنية الفخارية والحجرية، بدليل العثور على عدد كبير منها في أحد الغرف، فضلاً عن آلات صوانية وأخرى من أحجار الاوبسيدين. وأقترح الباحث الروسي(رؤوف منشايف) أن هذه البناية كان يتم فيها حرق جثث

الموتى، بينما يرى الباحث الفرنسي( لي بلانو Le Blano) أنه بيت لشيخ القرية، في حين يعتقد السيد (إسماعيل حجارة) أنه بيت ذو طبيعة طقوسية على أساس أن الاربجية كانت عبارة عن مركز ديني في هذا العصر. عموماً إن ممارسة دفن الجماجم داخل قدور( آنية) كانت ظاهرة فريدة في الاربجية ربما تؤشر أنه مركز طقوسي.

في حين ضمت الطبقة التاسعة من تل **يارم تبة** ٢ عدة منشأت بنائية بنيت مباشرة على الأرض البكر منها مباني مستطيلة متعددة الغرف، وجدت فيها أفران. كما ظهرت مباني بمخطط مستطيل بنيت جدرانها من الطين على أسس حجرية في موقع **يارم تبة** ٣. وهناك مبنى مستطيل في موقع دير حال ٤٠ كم شمال الموصل. في حين عثر على بقايا بيوت مستطيلة الشكل في موقع كرد باناهيلك في السليمانية. ينظر الاشكال الآتية :

مباني بمخطط مستطيل من موقع يارم تبة ٢

مباني بمخطط مستطيل من موقع يارم تبة ٣

**ت-المباني الدائرية**

ظهر نوعان من البيوت الدائرية في هذا العصر:

**٥- النوع الأول( المباني الدائرية التقليدية)**

أن العمارة البيضوية أو الدائرية التي تعبر عن البناء ذو الخط المنحني(Curvilnear) كانت معروفة منذ أقدم مراحل الاستيطان في أعالي بلاد وادي الرافدين كما عرضنا ذلك في الفصل السابق، ويتكون هذا النوع من المباني من غرفة واحدة مدورة الشكل تقريباً. وقد استمر ظهور

هذا النوع من المباني في العديد من مواقع هذا العصر، فقد عثر عليها في الطبقة الرابعة من موقع **أم الدباغية** وتمثلت بمباني شبه مدورة صغيرة وغير منتظمة مكونة من غرفة واحدة ولها مدخل واحد استخدم بعضها للسكن. ينظر الشكل الآتي :

بيت من موقع أم الدباغية بمخطط دائري

كما وجدت في الطبقتين الثامنة والسابعة في موقع **يارم تبة** ١ مجموعة بيوت دائرية من هذا النوع. وقد أعتقد المنقبون الروس لهذا الموقع أن التكرار النسبي لهذا النوع من البيوت في أقدم الطبقات هو استمرار للانتشار الواسع لتقاليد البناء الأقدم في الشرق الأدنى، التي يرجع أصلها إلى الفترة التي إنتقل فيها البدو الرحل من الملاجيء المشيدة بالخشب والأغصان إلى بناء المساكن المستقرة. لكن عدم العثور على أية مخلفات تشير إلى وجود بيوت مشيدة من الخشب في الشرق الأدنى، ولأن أقدم البيوت المدورة كانت مشيدة من الحجر والطين مثل بيوت زاوي جمة شانيدار وملفعات ومن ثم بيوت حسونة الطينية، لذا يعتقد أن تكرار هذا النوع من البيوت المدورة في الطبقتين المذكورتين كان استمراراً للبيوت المشيدة من الحجر والطين. ينظر الشكل الآتي :

بيت من موقع يارم تبة ١ بمخطط دائري

**٦- النوع الثاني( مباني الثولي)**

شاع إستخدام هذا النوع من المباني بشكل رئيسي في عصر حلف، وهي أبنية غريبة جدرانها الخارجية دائرية الشكل وفيها فتحة صغيرة تؤدي وظيفة المدخل، ولها سقف ربما كان على شكل قبة أو على شكل مخروط قد يكون معمولاً من الواح متشابكة تستند من وسطها على دعائم خشبية، عرفت بالمصطلح اللاتيني (Tholos) وذلك لمشابهتها للقبور المايسينية المتأخرة. ينظر الشكل الآتي :

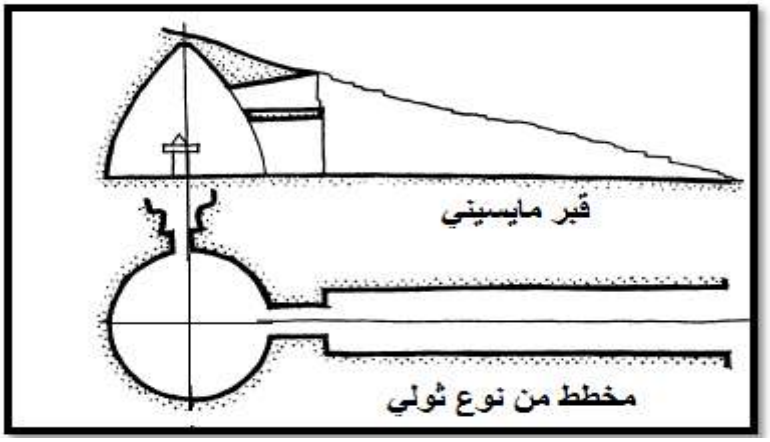


لكن الباحث الهولندي **اكيرمان** يعتقد أن مباني الثولي ليس إختراعاً حلفياً، وأنها تعود بتاريخها إلى التقاليد الأكثر قدماً في هذا العصر وتحديداً من فترة حضارة حسونة، حيث قدمت تنقيبات تل حسونة ويارم تبة ١ في شمال العراق مباني دائرية ربما من نوع الثولي تعود بتأريخها لدور حضارة حسونة، وعزز هذا الإعتقاد وجود المباني الدائرية في الطبقة السادسة من موقع صبي أبيض من شمال سوريا من نفس الفترة.

فقد وجدت في الطبقة الأولى من موقع حسونة بقايا لبناء مدور مميز بقطر حوالي ٧,٥ م، مقسم من الداخل بواسطة جدران تقع عمودياً تقريباً على جداره المدور من الداخل، وقد أثبتت مخلفاته من أفران وبقايا رماد خشبي وظيفته المنزلية. ينظر الشكل الآتي :

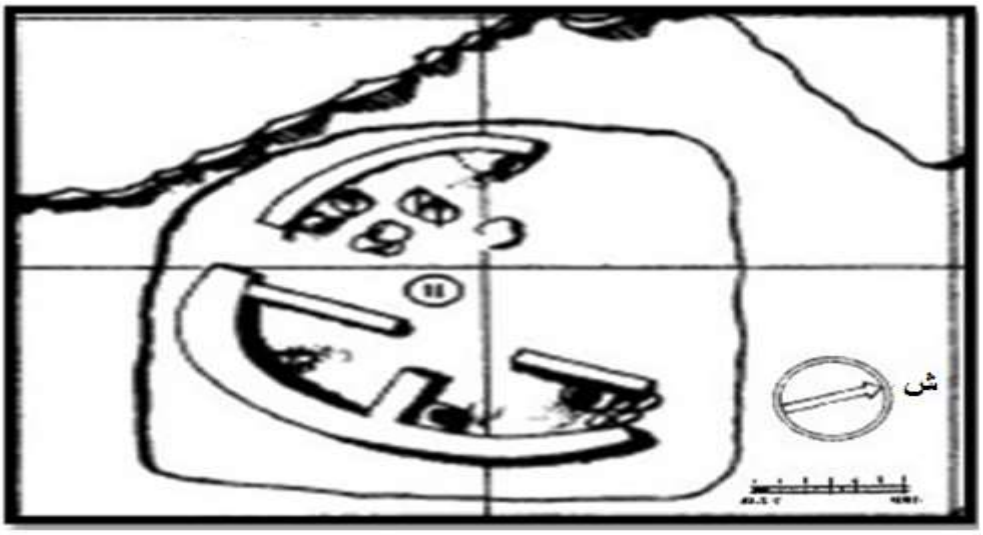


مبنى دائري من موقع حسونة

وظهرت في الطبقتين السفليتين من **تل يارم تبة** ١ بقايا مباني دائرية، وعثر في الطبقة السابعة على بناء دائري بقطر ٣ م تتصل به من الجانب الشرقي غرفة مستطيلة الشكل لها(منفذ) مدخل عرضه ٣٠ سم يقع في ضلعها الشرقي. ينظر الشكل الآتي :

مبنى دائري من موقع يارم تبة ١

عموماً ساد هذا النوع من المباني في أغلب مواقع دور حضارة حلف كما أشرنا، ومنها موقع الاربجية الواقع على بعد حوالي ٦ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة نينوى القديمة، في أطراف

مدينة الموصل الحالية على الجانب الشرقي من نهر دجلة. تشغل ترسبات هذا الدور الحضاري حوالي ٧,٥ م. كشف لأول مرة عام ١٩٢٨ من قبل الإنجليزي كامبل ثومستون، ثم نقب فيه ماكس ملوان عام ١٩٣٣، وجرت فيه تنقيبات مهمة في عام ١٩٧٦ ، ١٩٨٠ من قبل هيئة الآثار العراقية. حددت في الموقع ١١ طبقة عمارية، قسمت إلى أربعة فترات رئيسية، خير مثال عن شيوع هذا النوع من المباني. فقد ظهرت في أربع طبقات( ٧-١٠) عشرة أبنية من هذا النوع ستة منها تقع في وسط المستوطن، وأربعة أخرى في المناطق الخارجية منه تبين مخططاتها تطور هذا النوع من المباني حيث كانت تتقدم الغرفة الدائرية غرفة أمامية مستطيلة الشكل. ينظر الشكل الآتي:

وعثر في الطبقة ٢٠ في موقع **تبة كورا**، ٣٠ كم شمال غرب الموصل، على مبنى ثولي بقطر ٥ م، كما وجدت هذه المباني بأعداد كبيرة في موقع **يارم تبة ٢**، إذ عثر على أكثر من ٨٠ مبنى من هذا النوع في جميع طبقات الموقع وكانت بأحجام مختلفة، منها كبيرة بقطر ٣-٥ م ، وأخرى صغيرة بقطر ١,٥ إلى ٢ م. ولا تختلف البقايا العمارية في موقع **يارم تبة ٣** عن ما موجود في موقع يارم تبة ٢، فهناك مباني الثولي بأنواع مختلفة، إحتوى بعضها غرف داخلية صغيرة. أحد هذه المباني هو الثولي الأكبر فيها كان بقطر ٦,٨٤ -٧,٠٠ م، وينتصب على إرتفاع ١٥٥ - ٢,٢ م. وعثر على مجموعة من مباني الثولي النموذجية في مواقع حاجي لوك(Hajjiluk) وموقع عزو ، ١٧ كم شمال –غرب نينوى. ينظر الأشكال الآتية :

مبنى من نوع الثولي من موقع كول تبة

مبنى من الثولي من موقع يارم تبة ٢

مبنى من نوع الثولي من موقع يارم تبة ٣

وهنا نود أن نشير للأدلة القليلة الموجودة عن **عملية تسقيف المباني** بشكل عام والسكنية بشكل خاص، فمما يؤسف له أن البقايا البنائية التي يتم الكشف عنها في المواقع الأثرية تتألف عادة من الأسس وبعض الأجزاء من الجدران، لذا فإن الدلائل عن مواد وطرق التسقيف قليلة ومحدودة خاصة وأنها تصنع من مواد خفيفة وهشة قابلة للتلف، لذا سنشير لبعض الدلائل والاشارات التي وردت من بعض مواقع هذا العصر. فمن أم الدباغية هناك بعض الإشارات عن تحطم القرية في الطبقة ٢ ، فقد سقطت العديد من السقوف، التي يبدو من خلال بعض بقاياها أنها عملت من مواد مشابهه لسقوف البيوت الريفية العراقية الحديثة، حيث وضعت طبقات القصب المنسوجة بشكل دقيق، تعرف الآن في أرياف العراق بالحصران، فوق روافد أو دعائم خشبية لحمل السقف، وشكلت ما يشبه طبعة من النسيج، ثم وضعت عليها طبقة سميكة من الجبس، في حين توضع طبقة من الطين فوق هذه الحصران في سقوف بيوت القرى الزراعية الحديثة في أرياف العراق. ويعتقد أن مباني قرية جرمو سقفت بالعوارض الخشبية وفوقها الحصران أو أغصان الأشجار ومن ثم توضع فوقها طبقة من الطين. ومن الطبقة الخامسة في موقع يارم تبة ١ وتحديداً في المبنى رقم ٣٨٧ وجدت بقايا يمكن أن ترتبط بالسقف وهي بقايا حصران وطين وجص، منها رأس من الجص بسمك ٣سم وطبقة من الطين بسمك ١٠ سم. عموماً يبدو أن هذا السقف يتألف طبقة من الطين المخلوط بالقش بسمك ٣ سم.

إن أحد أهم الأدلة التي أكتشفت في مواقع هذا العصر هو جزء إرتفاعه ٨٥ سم، من قبة بنيت على سطح الأرض لتكون سقفاً لأحد البيوت مباني الثولي التي أكتشفت في موقع الأربجية، وكان هذا الجزء مبنياً من الطوف، لكن السيد ماكس ملوان منقب الموقع يفترض أنه كان مبنياً بالخشب وفيما بعد تم تغطية هذا الخشب بالطوف لعدم مقاومة الطوف وتماسكه مع بعضه في بناء السقف المقبب وغير المقبب، لكن لم يعثر على أي آثار لمادة الخشب.

عموماً بنى السيد ملوان إفتراضه هذا إستناداً على عدد من الكسر الفخارية المزينة بنقوش تظهر عليها مباني مقببة، كما في الشكل الآتي:

قطعة الفخار التي رسم عليها سقفاً بشكل قبة

واعتقد السيد ملوان أن مشكلة السقف في مباني الثولي تكمن في تسقيف الغرفة المستطيلة في مقدمة المبنى، وإن هناك عدة إحتمالات في طريقة تسقيفها، فإما أن تسقف مثل غرفة إعتيادية أو تترك مفتوحة كساحة أو تعامل مثل الغرفة الدائرية، لكن بشكل عام فإن الطريقة الأنسب ربما يكون فيها التسقيف بطريقة الجملون، وهو أسلوب شائع في العمارة في بلاد الرافدين في القرى القريبة من موقع الاربجية، حيث يستخدم الطين والقصب للتسقيف. ينظر الشكل الآتي :

سقف جملوني لبيت من القرى الحديثة المجاورة لموقع الاربجية

وترى السيدة بيركنز أن بعض هذه المباني كانت ذات سقف مستوي مبني باستعمال القش والقصب في التسقيف.

ويظن أن سقف ما يعرف بالبيت المحروق في نفس الموقع تكون من الطين المضغوط والخشب والحصران. واعتقد السيد (توبلر) منقب موقع تبة كورا المجاور الاربجية أن سقوف جميع المباني كانت مقببة مثل خلية النحل أو مخروطية الشكل وذلك لملائمة الشكل المدور لمثل هذه السقوف

وقد استخدم الخشب وطبقات الحصران في التسقيف ومن ثم كسيت بطبقة لزجة من الطين. ينظر الاشكال الآتي :

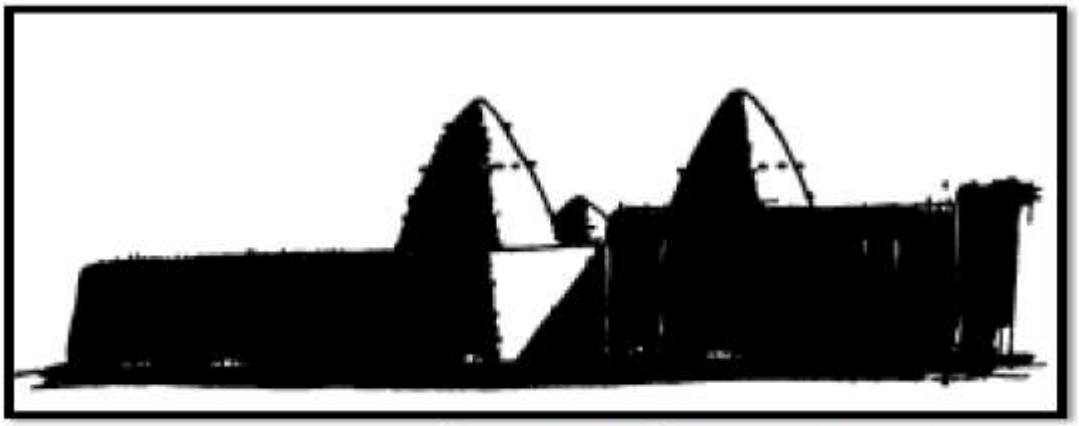

بيوت بشكل خلايا النحل قرب حلب السورية

بيوت بشكل خلية النحل قرب حلب السورية

ويحتمل أن الثولي الأكبر في موقع يارم تبة ٢ كان له سقفاً مقبباً،عمل من القصب وغطي بطبقة من الطين. ويشير الباحث( جيمس ميلارت) إلى أن ضعف الجدران في هذا المبني لا يدعم مثل هكذا ثقل، لذا يرجح أن يكون السقف مستوياً ويتكون من القش والقصب والطين. وربما كان لمبني الثولي الأكبر في موقع يارم تبة ٣ سقفاً مستوياً، إذ بنيت مقابل الجوانب الداخلية جدران بزوايا مستقيمة، لتجعل المخطط الداخلي بشكل الصليب. فهو لا يشبه المباني السكنية الأخرى في هذا الموقع، فهو لم يكن مكعب الشكل ولكنه إسطواني، لذا من المحتمل أن له سقفاً مستوياً. ينظر الشكل الآتي :

الثولي الاكبر من موقع يارم تبة ٢

عموماً يمكن القول أن بعض المواد مثل أغصان وجذوع الأشجار والحصران والطين كانت هي الأكثر شيوعاً في تشييد سقوف أغلب المباني المكتشفة في مواقع هذا العصر، خاصة وأن هذه المواد منتشرة على نطاق واسع في هذه المنطقة. فكان الخشب المادة الرئيسية في إنشاء السقف، لأنه يستطيع مقاومة الثقل النازل عليه بعد وضع الحصران والطين فوق الأعمدة الخشبية.

**٢-المباني الاقتصادية**

إقترن هذا العصر بشكل رئيسي بالزراعة والاستقرار، وحصلت فيه تغيرات إقتصادية وسكانية غيرت نمط الاستيطان، فقد توسعت المستوطنات وتطورت عمارة البيوت وأضيفت إليها مرفقات ذات طبيعة إقتصادية تمثلت بمخازن الغلال بشكل رئيسي، فضلاً عن اكتشاف مبانٍ كبيرة وأخرى صغيرة في كل من أم الدباغية ويارم تبة ومواقع أخرى حددت وظيفتها كمخازن لخزن الحبوب، وكانت هذه المنشئات بأشكال ومخططات مختلفة.

**أ- المخازن الصغيرة**

ظهرت في معظم بيوت المواقع الأثرية من هذه العصر غرف صغيرة يبدو أنها أستخدمت كمخازن بدليل :

١- إن مساحتها الصغيرة لا تكفي للسكن فيها، إذ أن معظمها لا يكفي لنوم شخص واحد.

٢- عدم وجود فتحات المداخل في أغلبها، لذا إفترض المنقبون أنها كانت مخازن يمكن الوصول إليها عن طريق فتحات أما في السقف أو الجدران.

إن أغلب الغرف التي أستعملت للخزن في داخل بيوت السكن كانت تقع في مؤخرة البيت أو في زاوية من زواياه أو في خارج البيت في بعض الأحيان. إن هذه الغرف الصغيرة وخاصة التي تقع داخل البيوت ربما كانت تستخدم أيضاً لخزن الآلات والأدوات التي يحتاجها صاحب البيت فضلاً

عن الحبوب. عموماً يمكن القول أن أغلب البيوت في مواقع هذا العصر قد أحتوت على غرفة أو عدة غرف صغيرة لخزن الحبوب أو الممتلكات المنزلية، وقد حددت وظيفتها كمخازن للحبوب بدلالة بقايا حبوب متفحمة داخلها أو قربها، وكان لبعض هذه الغرف مدخل صغير وأخرى ليس فيها مدخل. فقد ظهرت في أحد الطبقات العليا الفخارية من قرية جرمو في أحد البيوت غرف صغيرة جداً، حوالي ٢ x ١,٥ م، إثنين منها في القسم الشمالي من هذا البيت وأخرى في الجهة الشرقية ربما كانت مخازن للحبوب.

وعثر في الطبقة السابعة من تل سوتو على غرفة في أحد المباني المستطيلة كانت ذات زوايا تنفصل بجدران منحنية، ربما كانت لخزن الحبوب، تكونت أرضيتها من طبقة جصية سميكة وصلبة. وإلى الجنوب الشرقي من هذا البيت المستطيل هناك وحدتين بقطر ١,٥ م، ينفصلان عن البيت بواسطة ممر ضيق، صممتا لغرض الخزن. وإلى الشمال من نفس البيت هناك عدة غرف مستطيلة أستعملت للخزن أيضاً. وفي موقع كول تبة عثر على مخازن صغيرة ملحقة بأحد البيوت المستطيلة في الطبقة الأولى بقياس ١,٥ x ١,٤م و ١,٧٠ x ١,٤٠ م. وحددت وظيفة أحد الغرف الواقعة وسط المستوطن في الطبقة ١ س من موقع حسونة والمنفصلة عن بقية البيوت على أنها مخزن مشترك للبيوت المحيطة بها. وفي الطبقة الثانية من نفس الموقع وجدت غرفة صغيرة بدون مدخل ربما كان يتم الدخول إليها عن طريق فتحات صغيرة عالية في الجدار، وظهرت في الطبقة الرابعة عدة غرف صغيرة الحجم مشابهه لنظيرتها السابقة، وقد وجدت بقايا حبوب متفحمة في داخلها وقربها، وأفترض المنقبون أنها كانت مخازن يكون الخزن فيها بطريق الإقتراب من خلف جدار قليل الإرتفاع يفصل المخزن عن الغرف الأخرى أو يتم الوصول إليها من فتحات أما في سقف الغرفة أو في جدرانها. ينظر الشكل الآتي :

غرفة صغيرة في أحد البيوت في موقع حسونة استخدمت كمخزن

وكشف في الطبقتين ٢ و٣ في موقع يارم تبة ١ عن غرف صغيرة مساحتها ١,٥ م x ١,٢ م و ١ x ٠,٧ م حددت على أنها أماكن لخزن الحبوب. وعثر في الطبقة ٥ من نفس الموقع على غرف صغيرة بعضها ذات مدخل والبعض الآخر لا مدخل لها كما في البيت رقم ٤. لهذا

افترض المنقبون أن سكان هذا الموقع كانوا يخزنون حاصلاتهم الزراعية بواسطة إقترابهم من فوق حاجز منخفض أو من سطح البناء بأسلوب معروف في مستوطنات زراعية قديمة في الشرق الأدنى مثل موقع جتطل هويوك في وسط الاناضول وكذلك في القرى الحديثة في شمال العراق حيث تكون غرف الخزن عادة في الغرفة التي تحوي على تنور أو في غرفة صغيرة يدخل إليها مباشرة من غرفة التنور. كذلك وجدت مباني مستطيلة في موقع يارم تبة ٣ تشير بعض محتوياتها إلى أن لها وظيفة مخازن للحبوب. ينظر الشكل الآتي :

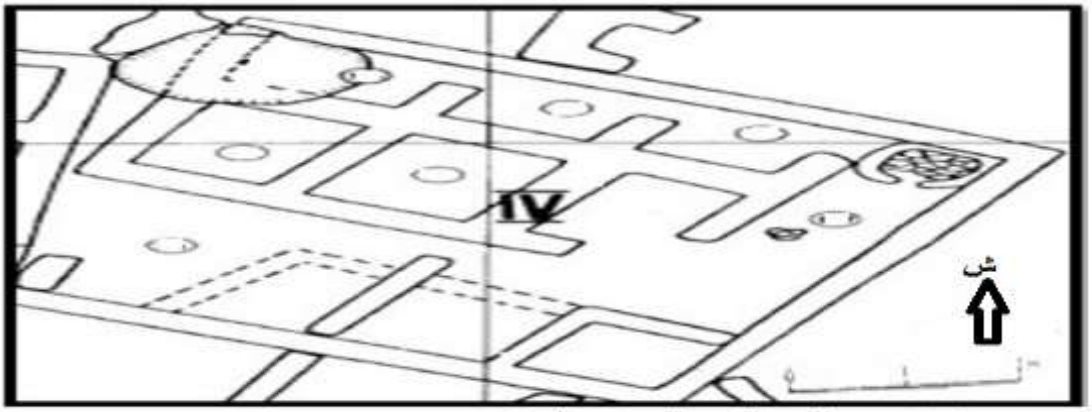


مخطط البيت رقم ٤ في موقع يارم تبة ١

ب- **المخازن المكونة من عدة غرف(الأهراء أو السايلوات)**

ظهرت في بعض مستوطنات هذا العصر مجمعات بنائية فسرت على أنها مخازن تؤدي بشكل رئيسي وظائف عامة كما في موقع أم الدباغية، فقد عثر في الطبقة الثالثة على عدد من المظاهر الفريدة، إحداها يتمثل بوجود بنايات ضخمة مكونة من صفوف منظمة من غرف صغيرة تشبه الخلية، خططت وشيدت، دون شك، لغرض خاص من الصعب أن يفسر إلا بكونها مخازن جماعية، ولم تحوي الغرف على آثار سكنية منزلية ولم يكن فيها أية وسيلة دخول واضحة. تتكون من وحدتين بنائيتين، الأولى( بقياس ٤٠ x ٢٧ م) تحتوي على صفين من الغرف (٥٢ غرفة) خالية من الأبواب ويفصلها عن بعضها البعض ممر طويل، لذا إفترض أن الدخول إليها كان عن طريق السقف كما الحال في مباني جتطل هويوك في بلاد الاناضول.

وضمت الوحدة البنائية الثانية حوالي ٣٦ غرفة (طول هذه الحدة البنائية حوالي ٢٣ م )، وهي تتكون في بعض أجزائها من ثلاث صفوف من الغرف، وكانت هذه الغرف بقياس ١,٧٥ x١٥٠م، ويوجد بين هاتين البنايتين ساحة وسطية بقياس (٣٣ x١٠,٣ م). فضلاً عن بعض المباني الدائرية منها مبنيين دائريين صغيرين، بغرف صغيرة المساحة وليس لها مداخل أعتقد أنها كانت مخازن ايضاً. ينظر الشكل الآتي :

مجموعة مباني من موقع أم الدباغية ـ الطبقة ٣ يعتقد أنها مخازن

وقد كشف في أحد مباني هذا الموقع عن رسوم جدارية على جدران أحد غرف، والتي كانت مكسوة بطبقة من الجص، بعضها يمثل قطيع من حيوان الأخدر(الحمار الوحشي) وخطوط متموجة أشبه بأرجل العنكبوت تحيط بها عدد من النقاط الكبيرة نسبياً. وهذه الرسوم ربما تؤشر مكانة هذا الحيوان في الإقتصاد المحلي للموقع، حيث ترى المنقبة أن الموقع كان مركزاً تجارياً يصدر جلود حمار الوحش وربما منتجات حيوانية أخرى إلى بعض المراكز والمستوطنات المجاورة في منطقة جبل سنجار. ربما يكون هذا تفسيراً مقبولاً لوجود تلك المخازن الجماعية التي أشرنا إليها أعلاه كمستودعات لمثل هذه الصادرات المحتملة. وقد استمر وجود بنايتي المخازن الجنوبية والشمالية في الطبقة الثانية.

وهنا نود الإشارة إلى أنه ربما يكون هناك سبب معماري وراء تقسيم مباني المخازن الكبيرة التي ظهرت في هذا الموقع في الطبقات ٢ و٣ إلى غرف صغيرة كما ذكرنا أعلاه، وهو أن يتخلص المعمار من مشكلة بناء السقف، فلو كانت هذه المباني غير مقسمة إلى غرف صغيرة لكانت بحاجة إلى سقف كبير المساحة يصعب بناؤه في عصر لم تتوفر فيه إمكانيات إنشائية لبناء مثل هذا السقف الكبير. وهذا ينطبق أيضاً على مباني المخازن التي كشفت في النهاية الشمالية من مستوطن الطبقة الخامسة في موقع يارم تبة ١. وربما كان شكل هذه السقوف مستوي لتزود المبنى بمساحة عمل إضافية لتنظيف وتجفيف الحبوب وأعمال منزلية أخرى.

ووجد في موقع تلول الثلاثات مبنى دائري بجدارين يمتدان بشكل متوازي بإتجاه شرق –غرب، وليس هناك أي إشتراك بينهما. ربما يمكن تفسير هذه العمارة على أنها نوع من الممرات، ويمكن تصور وجود غرفتين على كل جانب من جوانب الممر. إذ وجدت في الجانب الجنوبي من هذا الممر العديد من بقايا الغرف المحطمة. إن هذا المبنى ربما كان من نوع المباني التي تضم عدة

غرف رتبت في صفين. ويشبه مخططه إلى حد كبير بعض مباني أم الدباغية، فحجم الغرف الصغيرة مشابه لنظيرتها هناك.

وكشفت التنقيبات في الطبقة العليا من موقع **جيننك** (Ginnig)، في منطقة الجزيرة في نينوى، عن مخطط كامل تقريباً لإحدى البنايات، ترتفع إلى حوالي ٢٠- ٣٠ سم، ربما ينقصها فقط الجدار الخارجي الجنوبي. بنيت من الطوف المرصوف جيداً مع أرضيات مطلية بالطين الصلب. المبنى كان بمخطط غير منتظم وغريب فعلاً. فبعض الغرف صغيرة جداً، حتى أنها أقل من ممر، ربما يتم الدخول إليها من إرتفاع في الجدار، ربما كانت تستعمل للخزن، وبعضها في جدرانها حنايا، وأخرى لها جدران منحنية. القياسات الأصلية للبناية تقريباً ٩,٥ x ٦ م. سمك الجدران ١,٥ م في بعض الأماكن. هناك دعامتان بنيتا على جانبه الشرقي. الأبواب كانت ضيقة بشكل كبير، غالباً بعرض ٣٠ سم أو أقل، وهي تشبه نظيرات لها في موقع سوتو في شمال العراق وفي موقع بقرص في شمال شرق سوريا. ينظر الشكل الآتي

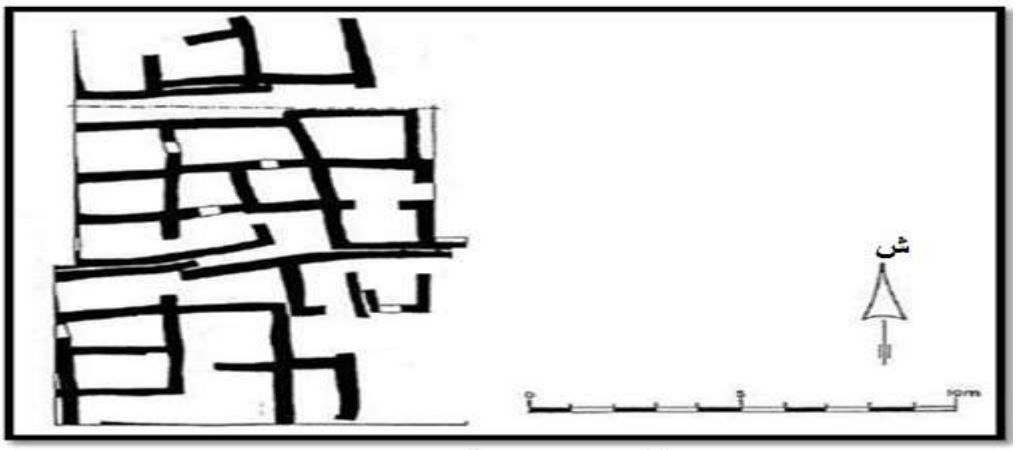


مجمع مباني من موقع جيننج يعتقد أنها مخازن

وكشف في الطبقة الخامسة من موقع يارم تبة ١ عن مجمع خزن كبير بطول حوالي ١٦ م وعرض ٦ م متجه من الشرق إلى الغرب يتألف من حوالي ١٠-١٢ غرفة، رتبت بصفين متوازيين بقياس (٢,٤ x ٢ م) واحدة منها لها باب، والمبنى يبدو مثل مخزن كبير، ربما لعائلة واحدة. يظهر بعض الشبه بالمخازن في أم الدباغية التي أشرنا إليها أعلاه. ينظر الشكل الآتي :

مجمع مباني من موقع يارم تبة ١ يعتقد أنه مخزن عائلي

وفي دور حضارة حلف حيث سادت المباني الدائرية التي عرفت بالثولي أعتقد أن وظيفة الكثير منها كانت خزن الغلال، فقد أعتقد أن أحد مباني الثولي الواقعة خارج التل في موقع الأربجية ربما يكون مخزناً للحبوب، فهو الثولي الوحيد في الموقع المشيد من اللبن وبدون أسس حجرية، وكان جزئياً تحت الأرض خلافاً لبقية مباني الثولي في هذا الموقع التي كانت قائمة على سطح الأرض. يقع مدخل هذا المبنى في الغرفة الأمامية ويوصل إليه بواسطة منحدر، وكانت الغرفة الأمامية قد سيعت أرضيتها بالحلان الأبيض، ومن الممكن أن تكون الغرف فيه تحت الأرض وسقوفها فوق الأرض. ينظر الشكل الآتي :

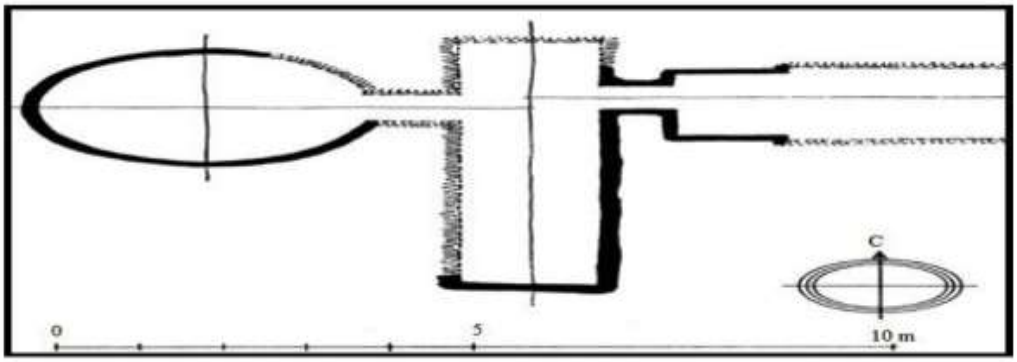


وظهر في الطبقة السادسة من تل يارم تبة ٢ مبنى ثولي غير إعتيادي( الثولي رقم ٣١) يقع ضمن مبنى كبير بمخطط متصالب( بشكل صليب)، قطره حوالي ٢,٦ م وبلغ سمك جدرانه ٦٠ إلى ٧٠ سم. قسمت الجدران الداخلية المبنى إلى نصفين، النصف الشمالي قسم إلى ثلاث غرف صغيرة. وتقع إلى جواره سلسلة من غرف مستطيلة صغيرة وممرات، ربما تشكل جميعها مخزن كبير في وسط المستوطن.كذلك وجدت مباني مستطيلة في موقع يارم تبة ٣، تشير بعض محتوياتها إلى أن لها وظيفة مخازن للحبوب. ينظر الشكل الآتي :

مبنى من نوع الثولي من يارم تبة ٣ ربما استخدم كمخزن

**ت- المباني الدينية**

إن البقايا العمارية المرتبطة بالجانب الديني في هذا العصر لا ترتقي إلى ما كان موجوداً في مواقع العصر السابق. فقد كانت المباني المخصصة للعبادة نادرة تقريباً في مطلع هذا العصر وخاصة في فترة حسونة- سامراء، لكن تظهر بعض الأبنية في دور حلف تؤشر حالات عبادية وطقوسية.

عموماً أعتقد أن لبعض مباني الثولي وظيفة خاصة ربما ترتبط بالعبادة، فمثلاً في موقع يارم تبة ١ في الطبقة ١٢ هـ وجدت مباني دائرية غير اعتيادية في النهاية الشمالية منه، منها مبنى الثولي رقم ٣١٩ ( ٢,٥ x ٢,١٠ م) والمبنى رقم ٣٣٣ ( قطره حوالي ٢,٥٠م )، تشير محتوياتها إلى وظيفة غير منزلية، وهي ترتبط بالدفن حيث وجدت في أسفل أرضياتها هياكل عظمية بشرية وبعض المواد المرفقة مع الميت، لذا ربما هي أماكن لأداء طقوس محددة، خاصة وأن هذا النوع من المباني كان نادراً وغير معروف في فترة حضارة حسونة. ينظر الشكل الآتي :

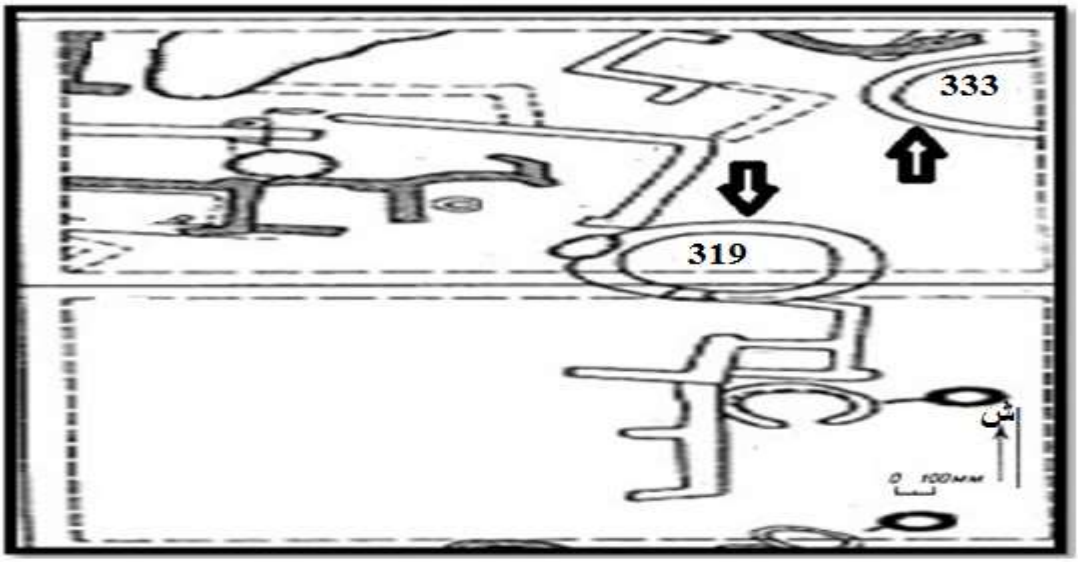


مباني من نوع الثولي ربما استخدمت كمباني دينية

أحد مباني الثولي في موقع الاربجية كان بحجم كبير قطره داخلي حوالي ٦,٥ م، وبطول إجمالي حوالي ١٩ م مع غرفة أمامية مستطيلة، وبجدران ضخمة بين حوالي ١,٣٥ م– ١,٦٥م. إن موقعه وسط المستوطن وضخامة وسمك جدرانه فضلاً عن العثور في أسسه على تماثيل لما يعرف بالإلهة الأم، ربما تؤشر سمة خاصة لهذا المبنى. ينظر الشكل الآتي :

مبنى من نوع الثولي من موقع الأربجية ربما استخدم كمبنى ديني

وهناك بيت مستطيل الشكل في الطبقة الأولى من تل الاربجية عرف بالبيت المحروق، سبق وأن اشرنا إليه. وهو عبارة عن بيت فسيح يقع في وسط الموقع، يتكون من عدة غرف مستطيلة ومربعة متباينة المساحات، بنيت جدرانها من الطوف، بعضها بسمك نصف متر تقريباً، والسقف من الطين المضغوط والخشب والحصران، أما الأرضيات فمطلية بطلاء من الطين الناعم. وجدت فيه مصطبتان ربما إستخدمتا لتقديم القرابين. أقترح الباحث الروسي( رؤوف منشايف) أن هذه البناية كان يتم فيها حرق جثث الموتى، وأكد السيد( إسماعيل حجارة) أنها بيت ذو طبيعة

طقوسية على أساس أن الأربجية كانت عبارة عن مركز ديني في هذه الفترة، خاصة وأن ممارسة دفن الجماجم داخل قدور( آنية) كانت ظاهرة فريدة في هذا الموقع ربما تؤشر أنه مركز طقوسي، كما أشرنا سابقاً. وربما كان الثولي الأكبر(رقم ٦٧) في الطبقة التاسعة من تل يارم٢ قد أستخدم لأغراض طقوسية كما تشير إلى ذلك محتوياته التي وجد بعضها أسفل الأرضية، وهو بقطر ٥,٣ م وضع على مصطبة طينية. وأعتبر الثولي رقم ١٣٧ في موقع يارم تبة ٣ مبنى مميزاً وهو بقطره ٥، ٥ – ٥,٨٥ م، وجدرانه بسمك ٥٠ سم، وجدت في داخله عظام حيوانية ومجسمات طينية لحيوانات، وكذلك الحال مع مبنى الثولي رقم ١٣٨ الذي كان سمك جدرانه حوالي ١ م.

أن هذه الدلائل المحدودة لا تسمح برسم صورة كاملة عن الديانة في المجتمعات الزراعية في هذا العصر فهي تنقل أجزاء يسيرة من الصورة. عموماً يشير بعض الباحثين إلى تراجع المستوى الروحي لحساب المادي في هذا العصر وأن هذا الأمر تزامن مع انتشار المستوطنات الزراعية التي تجمع بين المراكز الأجتماعية والاقتصادية( المستودعات ومواقع الإنتاج). لكن يبدو أن الممارسات الطقوسية في هذا العصر ترتبط بشكل عام بنماذج وتماثيل صغيرة بشرية وحيوانية وخاصة الثور، فضلاً القبور التي عثر على العديد منها أسفل أرضيات المباني في أغلب مواقع هذا العصر، وهي ربما تعكس بعض الطقوس الخاصة، إذ أن ممارسات الدفن كانت متعددة الأبعاد في طبيعتها. كما يفترض أن الأشياء المادية المرافقة للممارسات الطقوسية والقبور ربما تكون قد صنعت من مواد قابلة للتلف مثل الخشب والطين غير المفخور.

**الاسوار الدفاعية:**

أشرنا إلى السور الدفاعي في موقع المغزلية من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب، وهنا نود أن نشير إلى الخندق الدفاعي في موقع تل الصوان الواقع قرب سامراء، والذي يؤرخ من عصر حلف. يحيط الخندق بالموقع منذ أقدم فتراته، ويعد أقدم خندق دفاعي معروف في العراق القديم لحد الآن، يتكون من ثلاثة أضلاع هي أضلاع الاتجاهات الرئيسة عدا الضلع الغربي الذي كان طبيعياً وهو مجرى نهر دجلة. وكان كل جزء من الخندق قد أقتطع في الأرض الصخرية المخاذية للمستوطن وإلى عمق يقارب ٣ م يضيق تدريجياً إلى أن يصل عرضه الأسفل إلى نصف متر. ينظر الشكل الآتي:

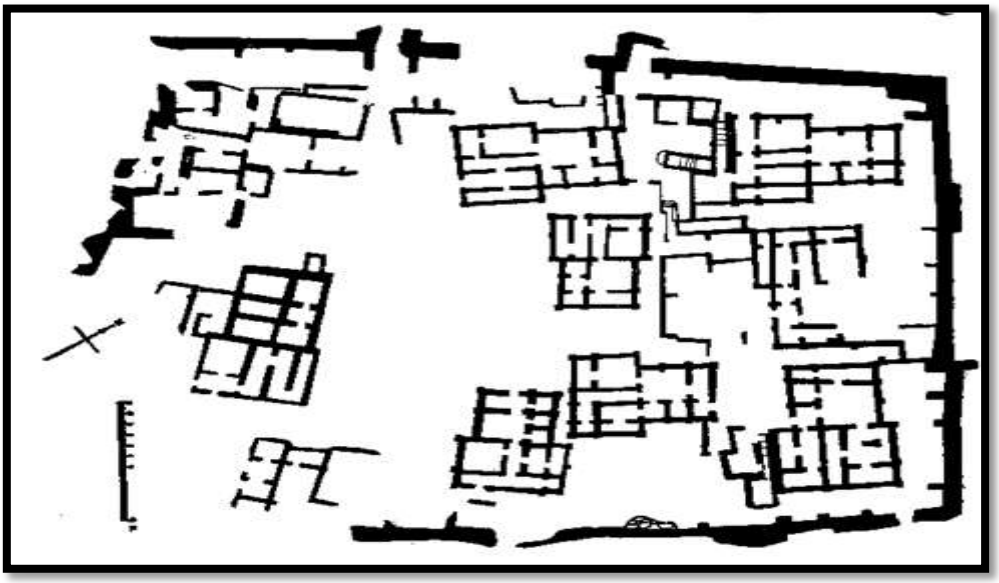

## الفصل الرابع

## الفن في العصر الحجري الحديث الفخاري (٦٠٠٠-٥٠٠٠ ق.م)

إن أهم ما يميز هذا العصر هو ظهور الصناعات الفخارية، التي شهدت ازدهاراً وتطوراً وانتشاراً على نطاق واسع، وكانت بأنواع وتقنيات مختلفة. فقد إنتشر الفخار على نطاق واسع في مناطق الشرق الأدنى. ويبدو أن إنتاج الفخار إقترن بشكل رئيسي بالاستقرار والزراعة، وبما أن الفخار مادة ثقيلة وقابلة للكسر ومن الصعب نقلها لذا فإنها كانت توجد حيث يستقر الناس. وكانت فترات الهدوء والتوقف عن العمل الزراعي تستغل بإنتاج الفخار، كما أن توفر القش بعد الحصاد يمثل حالة مثالية لعملية صنع الفخار.

حلت الصناعات الفخارية محل الصناعات الحجرية، واستعملت من قبل الباحثين كأدوات لتحديد المناطق الحضارية والكيانات الاجتماعية – الاقتصادية، بحيث أصبح الفخار هو الأداة الأساسية لوصف الزمن والمجتمع، وقد تطورت صناعته شكلاً وتقنية، فكان لكل طور ألوانه وطرزه وأشكال أوانيه، فأتخذ ذلك من بين الأسس التي أستند إليها في تقسيم هذا العصر إلى أطوار مختلفة، أشتقت أسماؤها من أسماء المواضع الأثرية التي وجدت فيها آثارها المميزة لأول مرة.

يشير عالم الآثار الروسي ( فلاديمير غولاييف) إلى أن ذروة ثورة العصر الحديث تتسم قبل كل شيء بظهور أهم ثلاثة عناصر في حياة الناس: الزراعة وتربية الماشية (كأساس للاقتصاد) والمستوطنات الدائمة، وصناعة الفخار.

**١ – الفخار**

جاء اختراع الفخار بعد أن عرف الانسان إمكانية تصلب الطين عند تعرضه لحرارة النار. وخاصة بعدما أدرك أن الآواني الفخارية أخف وزناً من الآواني الحجرية ولسهولة صنعها وسرعة تحضيرها، وهي ذات مسامات تساعد على تبريد الماء إذا دعت الحاجة. وكان الغرض الأساسي من صنع الأواني الفخارية خزن الحبوب الفائضة من أجل إستخدامها عند الحاجة، ثم تطورت وتنوعت إستخدامات الفخار في الدفن وخاصة دفن الأطفال، وأستخدمت في الطقوس والشعائر الدينية مثل المجامر الفخارية لحرق البخور، وكذلك كهدايا جنائزية تحفظ مع الأموات، وفي الطبخ ونقل الماء وخزن السوائل المختلفة ونقلها بين المناطق المتباعدة، كما أستخدمت في عمل المخاريط على شكل مسامير فخارية ملونة تزين بها واجهات المباني الدينية، وأستخدمت كمناجل ذات جانب حاد يصلح لحصد الحبوب مثل القمح والشعير، وأستخدمت في صنع الدمى البشرية والحيوانية ولعب أطفال صغيرة وتماثيل صغيرة تمثل الآلهة، وغيرها من أوجه الاستعمال.

**أهمية الفخار في الدراسات الأثرية**

تكمن أهمية الفخار في كونه من المواد الاساسية التي لازمت الإنسان في مختلف مراحله الحضارية، لذا عده علماء الآثار واحداً من أهم المصادر الخاصة بدراسة هذه الحضارة. ولعب دوراً هاماً في تاريخ الحضارات، ولن تضاهيه في الأهميته بقية المخلفات الأثرية الأخرى. وتكمن أهميته في الدراسات الأثرية بما يلي :

١- يحدد أماكن المواقع الأثرية، وخاصة في مناطق الشرق الأدنى حيث ينتشر بكثرة واضحة يمكن أن تساعد في تحديد المواقع الأثرية، لذا تعد كسر الفخار المنتشرة على سطح التلال في الغالب مفتاحاً للتنقيبات الأثرية.

٢- تشكل الكسر الفخارية أو الخزفية الملتقطة من سطح التلال أهم الظواهر الأثرية المحتملة ليس فقط فيما يتعلق بالموقع ذاته، وإنما فيما يختص بتاريخه ايضاً، لأن كل عصر من عصور الحضارات القديمة، بدءاً من حضارات عصور ما قبل التأريخ وحتى العصر الإسلامي كان له فخاره وخزفه يميزه في غالب الأحيان عن بقية العصور، ومن هنا لعب الفخار والخزف دوراً هاماً في تأريخ هذه الحضارات، ولم ترق إلى أهميته أية مخلفات أثرية أخرى.

٣- يستفيد الآثاريون من ظاهرة إنتشار الفخار لمعرفة تتابع الحضارات في الأزمنة المتعاقبة، وباستطاعتهم أن يستخدموا نتائج هذا التعاقب لتاريخ آثار مواقع أخرى يعثر فيها على فخاريات مماثلة إذا كان تاريخها مجهولاً.

٤- يستفيد من الفخار لدراسة هجرات الأقوام القديمة من مكان لآخر ولدراسة العلاثات التجارية فالاصناف الفخارية الدخيلة المصنوعة من طينة محلية أو طينة أجنبية التي يعثر عليها في مواطن الآثار دليل على هجرة سلمية إلى ذلك الموقع أو المكان أو إلى غزوة حربية مدمرة للموقع أو المكان.

٥- يساعد في دراسة عادات وتقاليد وأديان الشعوب من خلال دراسة الهدايا الجنائزية المقدمة في القبور. وكذلك شكل القبور أو التوابيت التي تحفظ فيها الجثث.

٦- يساعد في معرفة الفعاليات التجارية، ودراسة خطوط التجارة، وإنتقال البضائع بين مدينة وأخرى ودولة وأخرى من خلال ما يعثر عليه المنقبون من أشكال وأنواع الفخاريات الاجنبية غير الموجودة في ذلك البلد وخاصة الاشكال الفريدة ذات السمات المميزة. وقد أشرت فخاريات العبيد والوركاء حالة إنتشار هذه الحضارات في مناطق مختلفة من الشرق الأدنى مثل بلاد الشام وإيران والاناضول وسواحل الخليج.

٧- دراسة الأفكار الدينية والتقاليد التي تمارس أثناء الشعائر الدينية من خلال ما موجود على سطح الفخار من رسومات وزخارف، ودراسة دلالات تلك الرسوم.

٨- يساعد الآثاريون في معرفة تطور الفنون الجميلة وطرق الزخرفة والتلوين وتطور الاساليب الفنية المتداولة في تلك العصور كالاساليب الواقعية والتجريدية والرمزية وغيرها.

٩- يستفيد الآثاريون من دراسة نقوش الزخارف لمعرفة المستوى الفني للخزافين ولمعرفة علاقتهم بالآخرين، والتعرف على النقوش التي رسمها الخزافون القدماء لتجميل أوانيهم سواء كانت نقوشاً شكلية أو ملونة أو شكلية وملونة في آن واحد.

١٠- تستخدم الفخاريات في دراسة التطور الفني في عمل الفخار والأصباغ المستخدمة.

## طريقة صنع الآواني الفخارية

كانت الأواني الفخارية في معظم عصور ما قبل التأريخ تصنع باليد إذ لم يكن دولاب الفخار قد أخترع بعد. وهناك ثلاث طرق أستعملت في صنع الفخاريات، الأولى هي **الطريقة البدائية** وتتم بتحوير كتلة من الطين بالاصابع إلى الشكل المرغوب فيه إذ يفتح ثقب بابهام اليد في مركز الكتلة ثم تبنى الجدران بالثخن المطلوب بواسطة الضغط على جوانب الثقب ورفع هذه الجوانب بنفس الوقت إلى الأعلى بمساعدة الترطيب بالماء. وتبنى **بالطريقة اليدوية الثانية** الآنية الفخارية باقسام منفصلة كالقاعدة والجسم والعنق ثم توصل هذه الأجزاء ببعضها وتجرى تسوية جدرانها بالترطيب. ويتم بناء الآنية الفخارية **بالطريقة الثالثة** على هيئة لوالب من الطين إذ يوضع لولب فوق الآخر حتى الارتفاع المطلوب ثم تسوى سطوح اللوالب بالترطيب وبالضغط عليها، وفي المرحلة الأخيرة تضاف الملحقات كالقاعدة والعروة والمقبض والصنوبر وغيرها. ويظهر من فحص الأواني العراقية القديمة أن هذه الطرائق الثلاث أستخدمت من قبل الخزافيين، ومن المحتمل أنهم أستخدموا المسند والمضرب لتسوية وتعديل السطوح قبل أن تجف الأواني جفافاً تاماً. وبعد تحوير كتلة الطين إلى شكل آنية عميقة أو جرة أو صحن أو قدح أو أي شكل آخر تجرى عليها عدة عمليات منها الدلك والطلاء والتلوين والزخرفة وأخيراً التسخين.

الشكل أدناه يمثل طريقة عمل آنية فخارية في الوقت الحاضر:

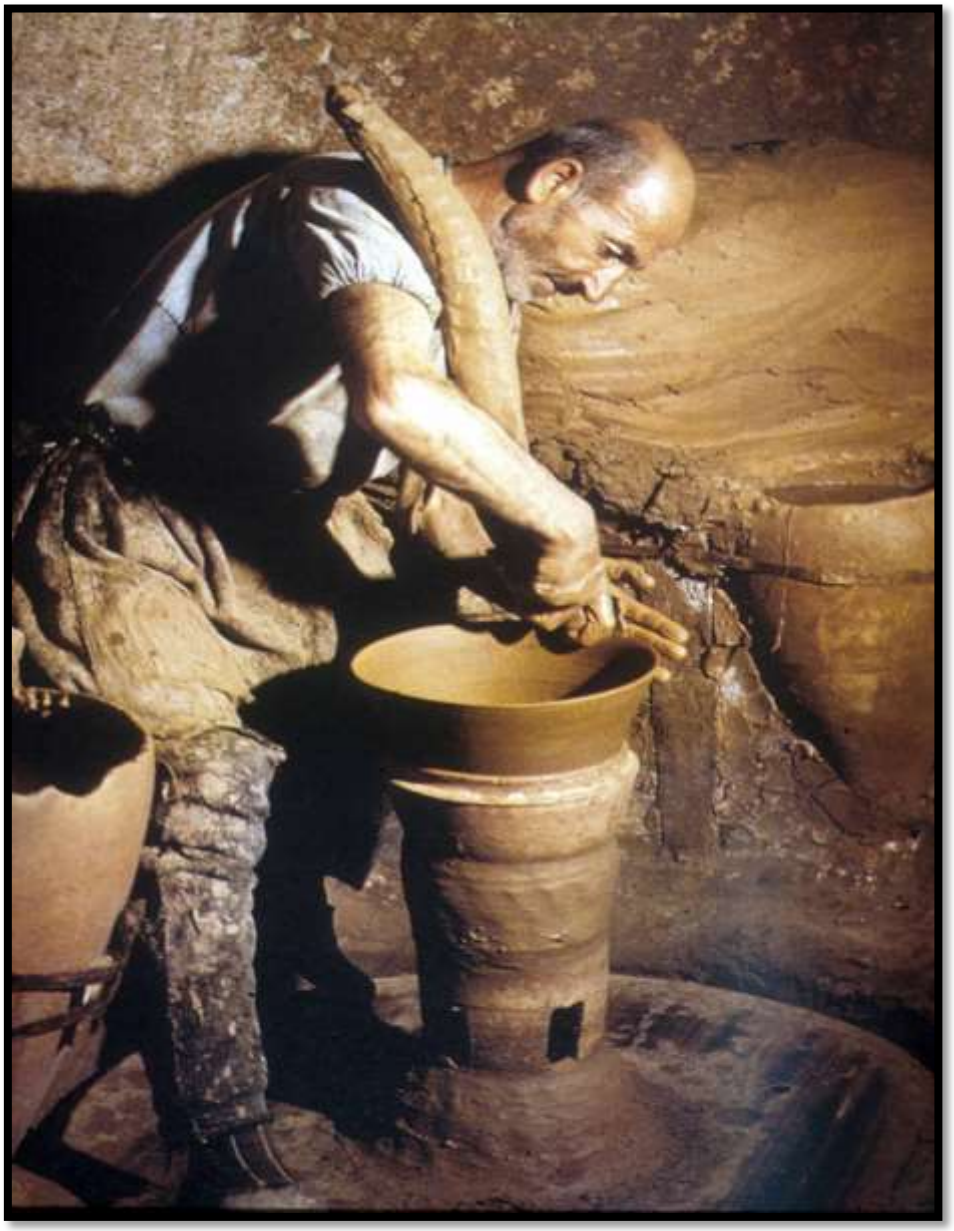

**فخار عصور ما قبل التأريخ**

تمثل التعبير الفني العفوي عند الإنسان العراقي القديم من خلال نوعين من الصناعات اليدوية، الأولى هي صناعة الفخار والثانية صناعة دمى صغيرة تمثل أشكال بشرية وحيوانية. وتعطينا الوسيلة التعبيرية الأولى من خلال توافرها دليلاً أكبر يعبر عن القدرات الإنسان الفنية العفوية، وهي تقدم أول متنفس للإنسان في خلق شيء يمتاز وجوده بجمالية تبعث على الرضا. ولا بد أن يكون الحرفيون الاوائل قد لاحظوا أن فائدة منتجاتهم ينبغي الا تتعرض للتلف بواسطة تعديلات طفيفة تدخل في الشكل لهذا السبب أو ذاك. إن من شأن هذه التجارب أن تقود طبيعياً إلى إضافة زخرفة خارجية، كما أن الاشكال المنقوشة التي تذكرنا بالأواني التي يعود أصلها إلى أعمال السلال قد توحي ببداية بسيطة.

بدأت الاشكال الاولى وهي التجريبية بسيطة وغالباً ما إتخذت أشكالاً هندسية بحتة، إلا أنها أخذت تتطور فيما بعد لتصبح أكثر تحرراً ودقة، مما سمح باستخدامها في نماذج تشكيلية. وسنتابع بايجاز مراحل تطور الفخار عبر العصور.

### ١- فخار جرمو

ظهرت أقدم النماذج الفخارية من العصر الحجري الحديث في بلاد الرافدين لأول مرة في الطبقات العليا من موقع جرمو، لذا سمي هذا الفخار بفخار جرمو. عملت فخاريات هذا العصر بتقنيات بسيطة وكانت ساذجة وخشنة، صنعت باليد ومن طينة غير نقية تحتوي على شوائب طبيعية وتمزج بدون إعتناء بقطع كبيرة نوعاً ما من التبن. وتتميز معظم الآنية بسطوح خشنة غير مطلية وغير مدلوكة. وأسلوب حرقها كان رديئاً وكانت في الغالب هشة. وكانت أشكالها قليلة التنوع وتقتصر على الجرار والطاسات. ينظر الشكل الآتي :

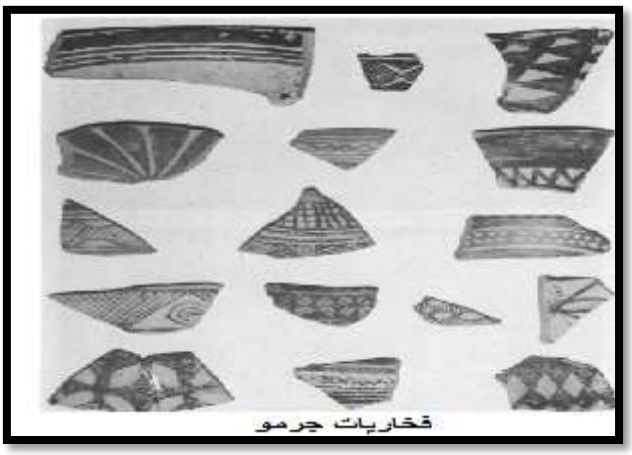

فخاريات جرمو

### ٢- فخار حسونة

سمي هذا العصر بعصر حسونة نسبة لموقع حسونة في محافظة نينوى، أستخدام فخار دور حسونة في عدد من مواقع شمال العراق في حين لم يعثر عليه في الوسط والجنوب. ويقسم إلى قسمسن :

- **فخار حسونة القديم**

يضم نوعاً من الجرار طويلة العنق خشنة الطينة وطاسات من طين ناعم تتراوح ألوانها بين البرتقالي والاسود والاحمر وهي ذات سطوح مصقولة، ويوجد من هذا النوع طاسات وجرار مصقولة ومزخرفة برسوم هندسية باللون الاحمر. بشكل عام تميز هذا النوع من الفخار برداءة الصناعة وطينته غير نقية تكثر فيها الشوائب. وهذه الفخاريات كانت تقريباً خالية من النقوش باستثناء بعض الزخارف الهندسية البسيطة، وكانت مفخورة بدرجات حرارة واطئة. ينظر الشكل الآتي :

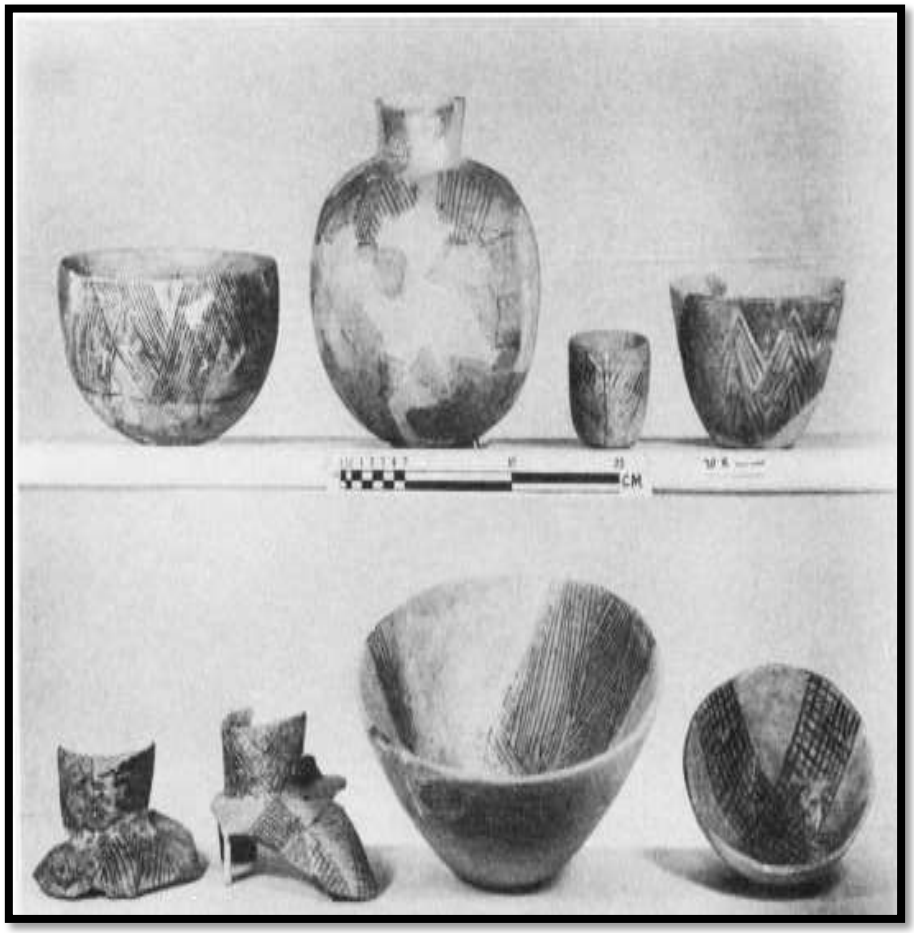

- **فخار حسونة القياسي أو النموذجي**

كشف عن هذا النوع من الفخار في الطبقات (٢-٦) من موقع حسونة، ويشمل طاسات وجرار مزينة بخطوط مستقيمة ومثلثة ومتقاطعة مرسومة بطلاء بني، فضلاً عن نماذج زين سطوحها بخطوط محززه دون تلوين وأخرى محززة وملونة بطلاء بني. وجرار كبيرة لخزن الحبوب توضع عادة تحت أرضية البيوت، وأخرى أستخدمت للدفن وخاصة الأطفال، وهناك جرار كبيرة كروية الشكل.

وتميز بأن صناعته جيدة عمل من طينة نقية نوعاً، ومفخور بدرجات حرارة عالية لذا كان أكثر صلابة. ونفذت زخارفه بثلاث طرق : **التحزيز والتلوين أو الإثنين معاً**، لذا سمي الثالث بالفخار المحزز الملون.

وغالباً ما أستخدم لون واحد في عملية التلوين، الأحمر، البني، أو التبني. أما النقوش فكانت هندسية الشكل مثلثات أو خطوط منكسرة. ينظر الشكل الآتي :

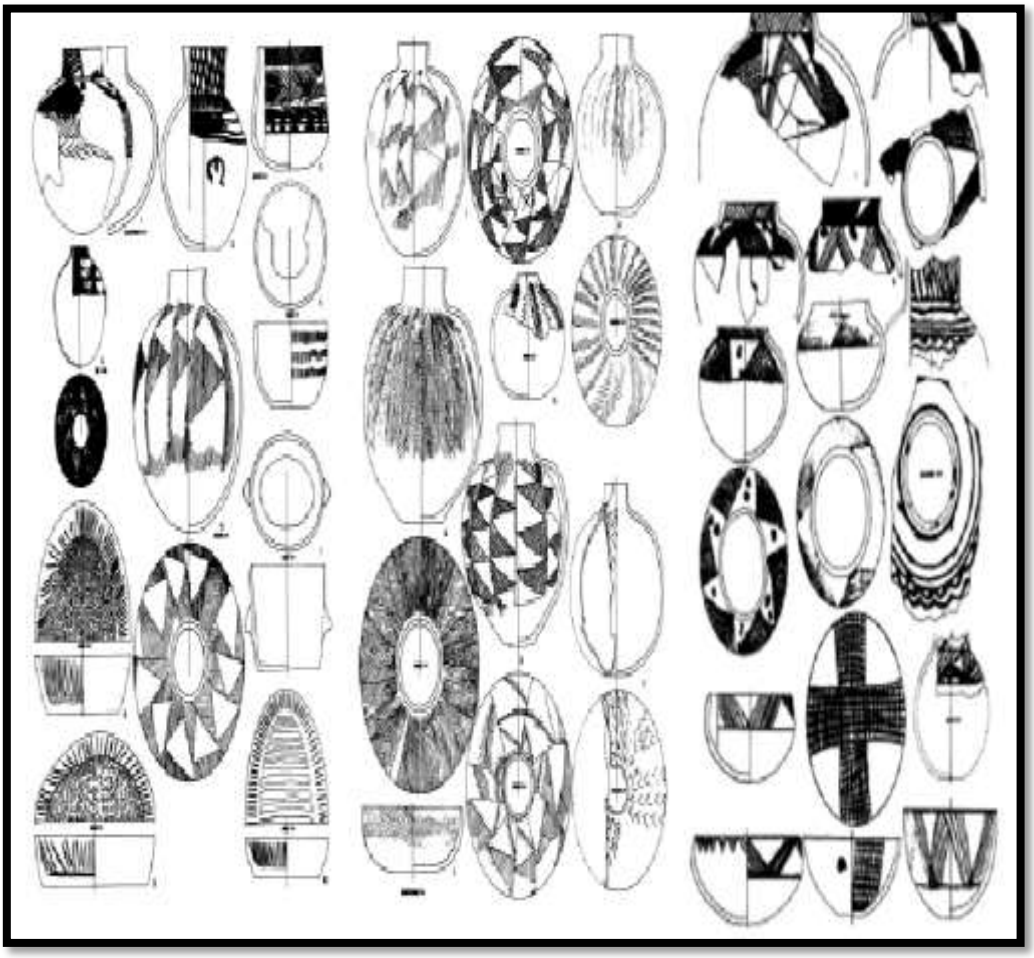

**٣- فخار سامراء**

سمي هذا العصر بعصر سامراء نسبة لمدينة سامراء الشهيرة، إنتشر هذا النوع من الفخار في عدد من مواقع شمال ووسط العراق، أهمها موقع تل الصوان قرب سامراء وجوخة مامي قرب مندلي، وتل صنكر قرب حمرين. وجميع فخار سامراء مصنوع باليد وبطينة نقية وجيدة. كانت أغلب الفخاريات من الأطباق والقوارير والقناني والجرار الناقوسية الشكل والتي تجلس على ثلاثة مساند أو قواعد وتمتاز الأخيرة بكونها كروية الشكل في أجزاءها السفلى وتكون مزودة بعروات عند الأكتاف. تميز فخار سامراء بأنه وحيد اللون وفيه نماذج ملونة ومحززة في أن واحد وزخارفه هندسية وبعضها زخرف برسوم الطيور والاسماك والعقارب والآيائل والبقر. ويغلب على هذه الرسوم التجريد باستعمال الخطوط الافقية والعمودية أو المائلة والتصاميم الهندسية ذات أشكال مربعة أو مستطيلة ومعينية وتبدو هذه الرسومات الآدمية والحيوانية بأنها في حالة حركة دائرية مستمرة وأصبحت الاواني الفخارية غنية بهذه الزخارف إلى درجة أنها أصبحت من أدوات الترف. بشكل عام هناك نوعان من هذا الفخار :

١- نوع رديء الصناعة سمج وغير نقي وفيه الكثير من الشوائب وهش لأنه مفخور بدرجات حرارة واطئة.

٢- نوع جيد الصنع تم فخره بدرجة حرارة عالية لذا أصبح أصلب من النوع السابق، وإن كانت طينته ليست نقية تماماً.

أستعمل الفخار أو الفنان أسلوبين في الزخرفة :

الأول : أسلوب التحزيز في تنفيذ زخارف هندسية عبارة عن خطوط منكسرة ومثلثات.

الثاني : أسلوب التلوين، إذ كانت فخاريات سامراء ملونة بلون واحد يغلب عليه أو البني أو الأحمر. أما لون الطينة وأرضية البناء فقد كانت باللون التبني أو تبني مخضر. وهناك أوانٍ قليلة أستخدم فيها أسلوب التحزيز والتلوين معاً.

نفذت فخاريات سامراء بدقة ومهارة عالية، وأهم الزخارف التي ظهرت فيها زخارف طبيعية وهندسية وحيوانية وبشرية، تمثلت بأشكال بشرية وحيوانية وطيور وأسماك وأفاعٍ وأسماك، نفذت اما بالاسلوب الواقعي أو التجريدي. أما الزخارف الهندسية فكانت عبارة عن أشرطة ومثلثات وأنصاف الدوائر. ينظر الشكل الآتي :

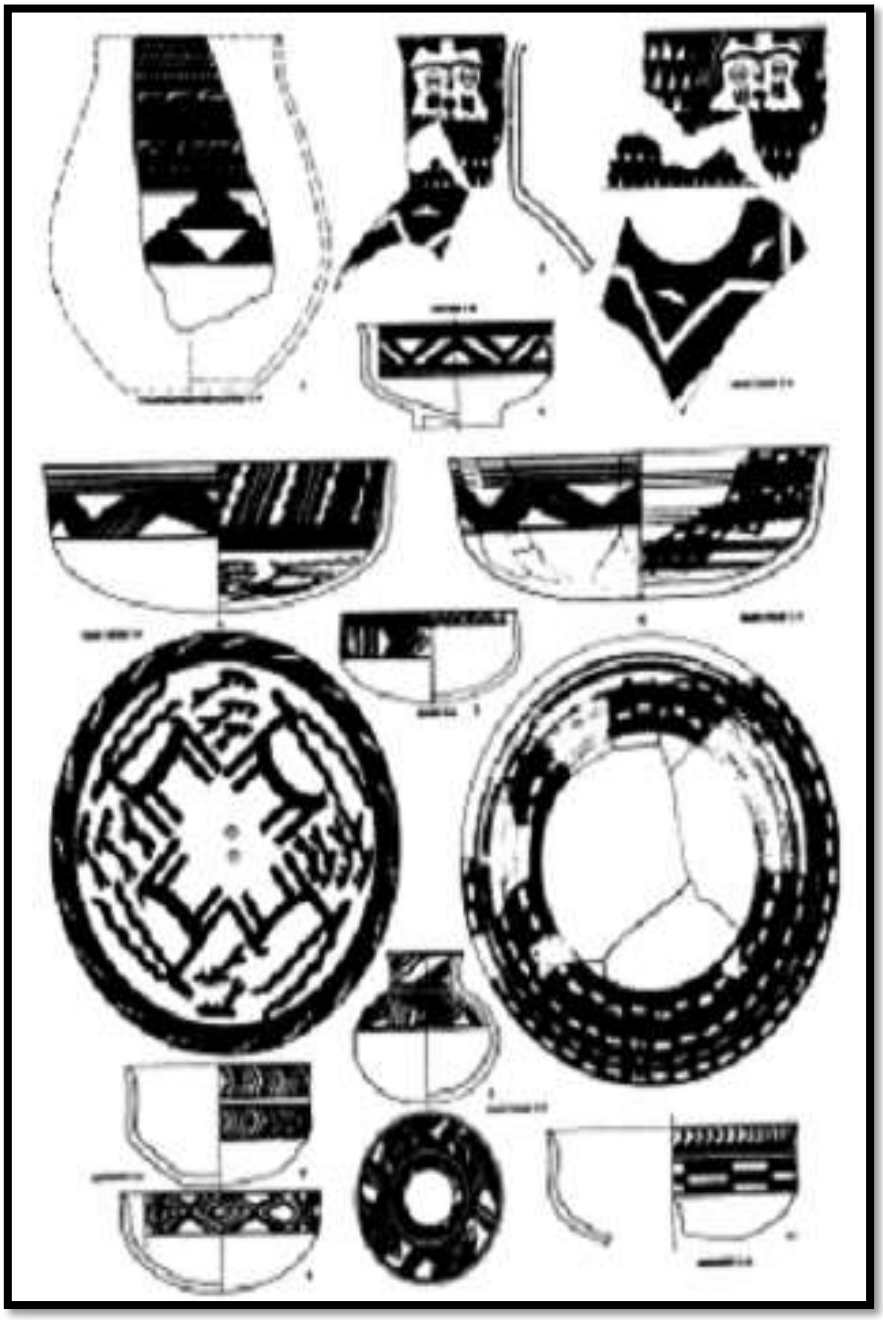

ومن أهم المشاهد التي ظهرت مشهد الصليب المعقوف(السواتيكا)، إذ رتب الفنان أشكالاً بشرية أو حيوانية بطريقة خاصة تظهر من خلال عملية التكرار بما يشبه الصليب المعقوف، ربما يمثل هذا المشهد حلقة رقص سحرية تدور على المنطقة المركزية. من أبرز هذه المشاهد مشهد يمثل أربعة نساء واقفات وشعرهن يتدلى على الجانب، ويدرن حول مجموعة العقارب. ربما تمثل هذه الحلقة السحرية عملية تحرير الهواء وإنزال المطر. ينظر الشكل الآتي:

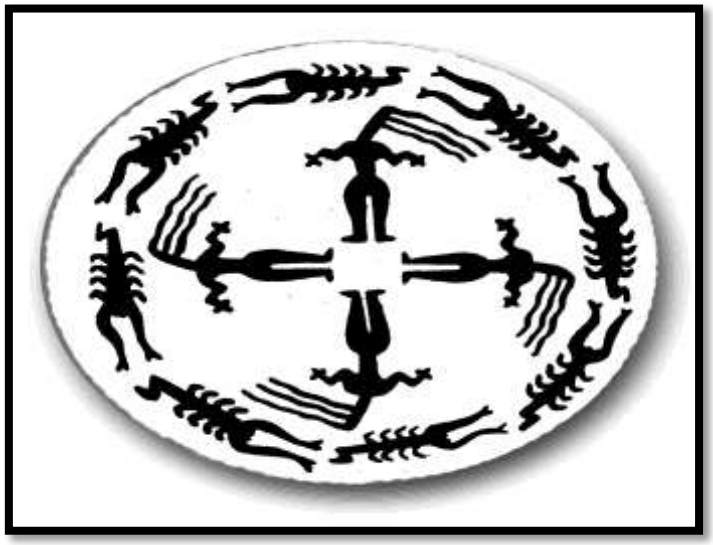

وهناك مشهد منفذ على رأس جرة فخارية يمثل وجه إمرأة بعيون كبيرة، وبخطوط على الوجه، ويبدو الشعر على شكل خصلات تتدلى على الجبين. ينظر الشكل الآتي :

رأس جرة من فخاريات سامراء من موقع حسونة بارتفاع ٧-٨ سم

وهناك مشهد على إناء يمثل مجموعة وعول تشكل حلقة دائرية عثر علية في موقع حسونة، ينظر الشكل الآتي :

**٤- فخار حلف**

سمي بهذا الأسم نسبة إلى تل حلف، وهو موقع أثري يقع في شمال سوريا على بعد ٥ كم جنوب غرب رأس العين قرب منبع الخابور على الحدود التركية السورية. أن معظم المكتشفات الفخارية التي تعود إلى دور حلف تم العثور عليها في موقع الاربجية وتبة كورا ، واقتصرت صناعة فخار حلف في القرى الشمالية وانتشرت في سوريا وتركيا. ويتميز فخار حلف برقته المتناهية رغم أنه صنع باليد لأن دولاب الفخار لم يكن معروفا في هذا العصر وشاع تلوين هذه الأواني في الدور الأول باللون الاسود وفي الدور الثاني بلونين أو عدة الوان كالأحمر والبرتقالي والأصفر والبني والأسود. صنعت أنواع عدة من الأواني مثل الأقداح ذات الرقاب المفلطحة والجرار القرفصية والأباريق والدوارق والصحون والاطباق وغيرها. ينظر الشكل الآتي :

أواني مزخرفة من عصر حلف

ومن المشاهد المؤثرة والجميلة إناء فخاري جميل من الاربجية عليه عدد من الوحدات الزخرفية الشائعة الاستعمال في فخاريات حلف مثل رأس الثور والصليب المالطي وشكل الأفعى ذات الرأس المثلث على السطح الخارجي لجوانب الإناء وعلى السطح الداخلي لجوانب الإناء يظهر مشهد بشري، وهو من المشاهد الفريدة في فخاريات عصر حلف، إذ يظهر زوج من النساء لهن ضفائر طويلة متعرجة يمسكن بأيديهن شيئاً، من المحتمل إنه يمثل سجادة ذات شراشب، فضلاً عن وجود مشهد صيد يظهر فيه أحد الحيوانات يطأ بقدميه الاماميتين شخصاً، وهناك إناء كبير بشكل غير إعتيادي، ويظهر بقربه شخصان يقومان بتقطير شيء ما، ونقش على القاعدة من الداخل تخطيط ربما يمثل رسماً لشيء معماري أو شيئاً مقدساً كأن يكون مذبحاً أو مصبة لسكب السائل، ينظر الشكل الآتي :

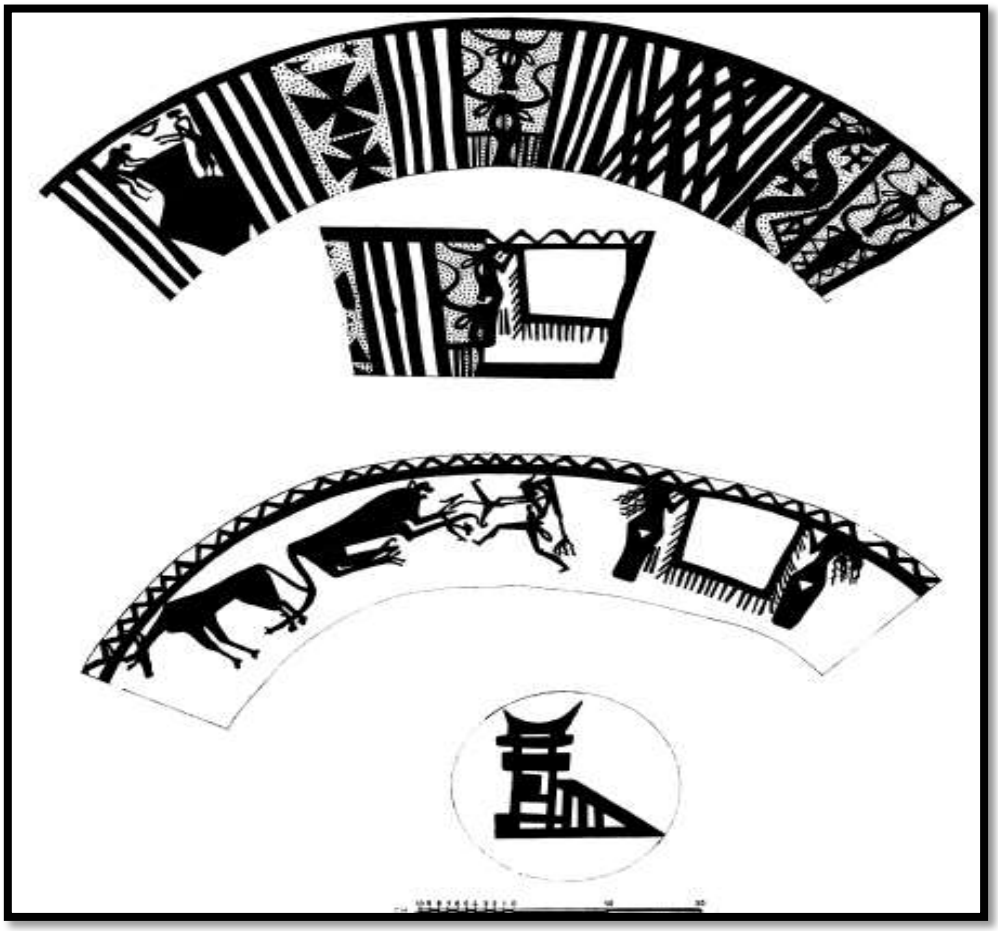

**مميزات فخار حلف**

تميزت فخاريات عصر حلف بما يأتي :

١- مصنوعة من طينة نقية ذات جدران رقيقة وسطوح مصقولة ملساء.

٢- مفخورة بدرجات بدرجات حرارة عالية لذا كانت صلبة.

٣- تميزت بتعدد ألوانها، منها الأسود والأحمر والبني بأطيافه، بعضها يضاف لها اللون قبل الفخر وأخرى بعد الفخر.

٤- تميزت فخاريات حلف بالجودة العالية المتمثلة في نقاوة الطين وجمال الاشكال وروعة الزخارف، وهي تمثل قمة صناعة الفخار في بلاد الرافدين والعالم القديم.

كانت الزخارف على فخاريات حلف ذات أشكال متناسقة جميلة قوامها الاشكال الهندسية كالمثلثات والمربعات والمعينات والخطوط المتصالبة وأشكال المراوح أو أشكال المحار المروحي والدوائر الصغيرة والاشكال النباتية والحيوانية مثل الازهار والطيور الحاطة والغزلان ورؤوس الثيران المرسومة بصورة مختصرة تخطيطية ومن الاشكال الخاصة الفأس ذات الرأسين. ينظر الشكل الآتي :

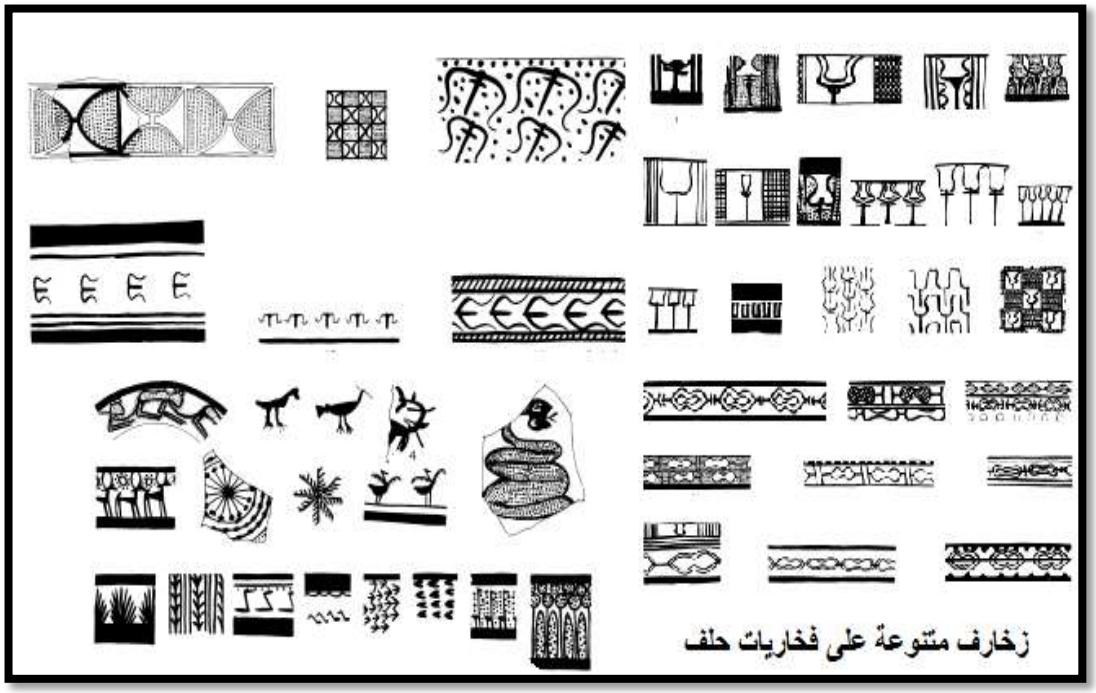
زخارف متنوعة على فخاريات حلف

ويعد رأس الثور( البوكرانيوم) أبرز الاشكال الحيوانية المنفذة على فخاريات حلف، ويظهر بشكل طبيعي ورمزي. وهناك شكل الصليب المالطي وأشكال أخر جميلة ومميزة. ينظر الأشكال الآتية:

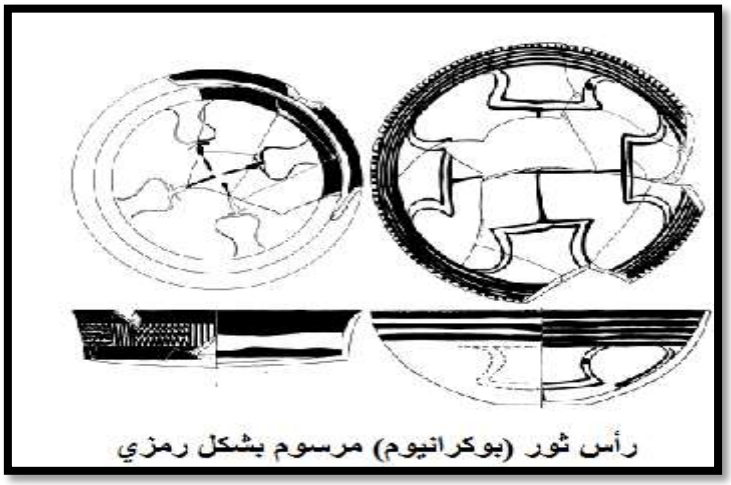
رأس ثور (بوكرانيوم) مرسوم بشكل رمزي

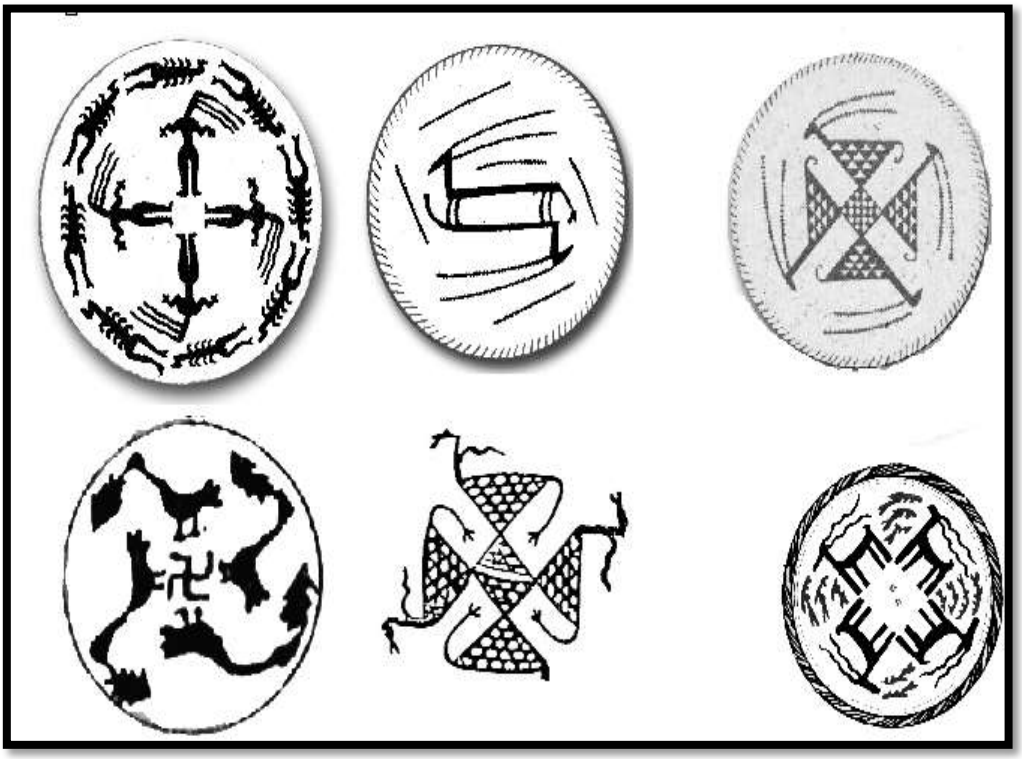

الشكل أدناه يمثل طبق فخاري من الأربجية عليه زخرفة الصليب المالطي :

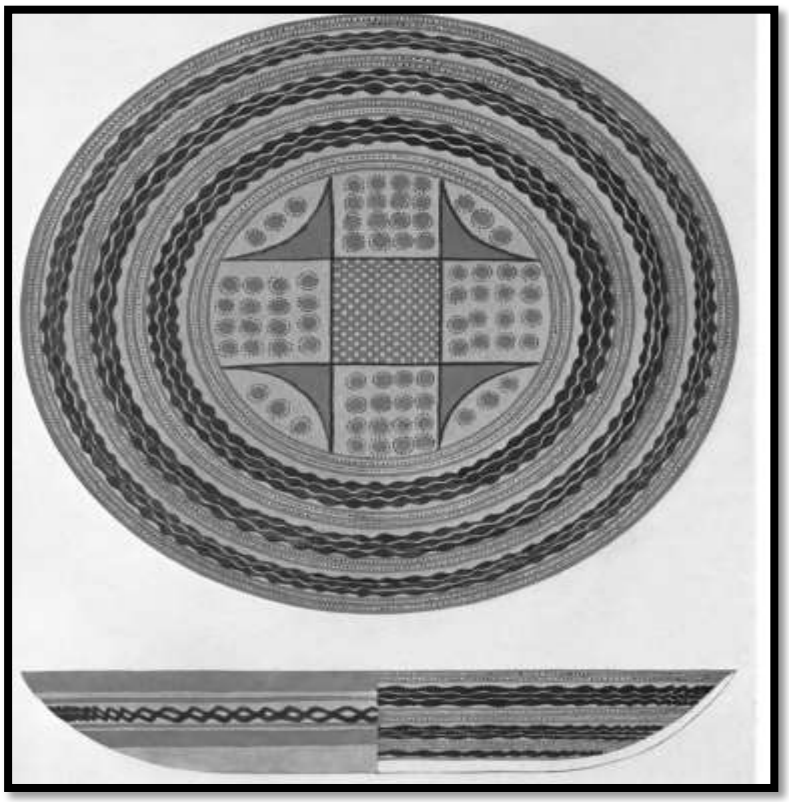

- **الأواني الحجرية**

يبدو أن الفخار لم يعوض الإنسان عن أدوات وآلات معينة ومنها الأدوات الحجرية، فظهرت مجموعة من الأواني الحجرية منها كاملة الشكل، كما في يارم تبة ١، وأخرى بهيئة كسر كما في أم الدباغية، حملت زخارف حيوانية، منها حيوان أو وحش مقرن . غالباً ما عثر عليها في القبور ربما كانت من الهدايا الجنائزية، صنعت من أحجار مختلفة منها، الرخام والحجر الكلسي والحجر الرملي، والسيتاتيت، أحجار الديورايت والحجر البركاني (الاوبسيدين). من بين هذه الأواني الطاسات والجرار والأقداح والصحون وغيرها. ينظر الاشكال الآتي :

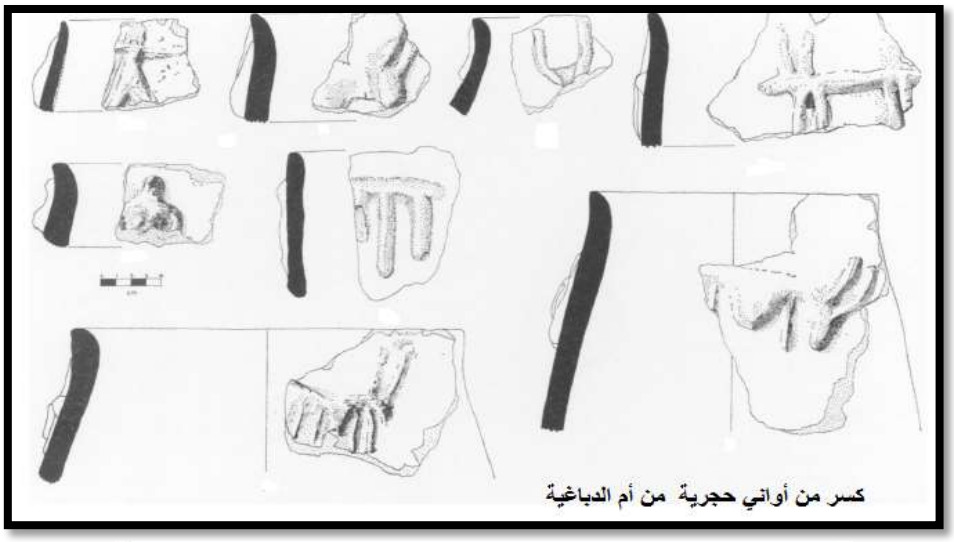

كسر من أواني حجرية من أم الدباغية

اناء حجري من موقع يارم تبة١

**الدمى الطينية**

كانت الدمى الطينية من بين أبرز النتاجات التي صنعها العراقيون القدامى، ظهرت أقدم نماذجها في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار وفي هذا العصر. عثر على أقدم النماذج منها في الكثير من القرى الزراعية وكانت صغيرة الحجم في الغالب لا يتجاوز طولها ٨ سم ولم تكن

مفخورة في الغالب. إن الغالبية العظمى من هذه التماثيل كانت مصنوعة للأطفال على نحو غير متقن ولا تتمتع بأية قيمة فنية. ينظر الشكل الآتي :

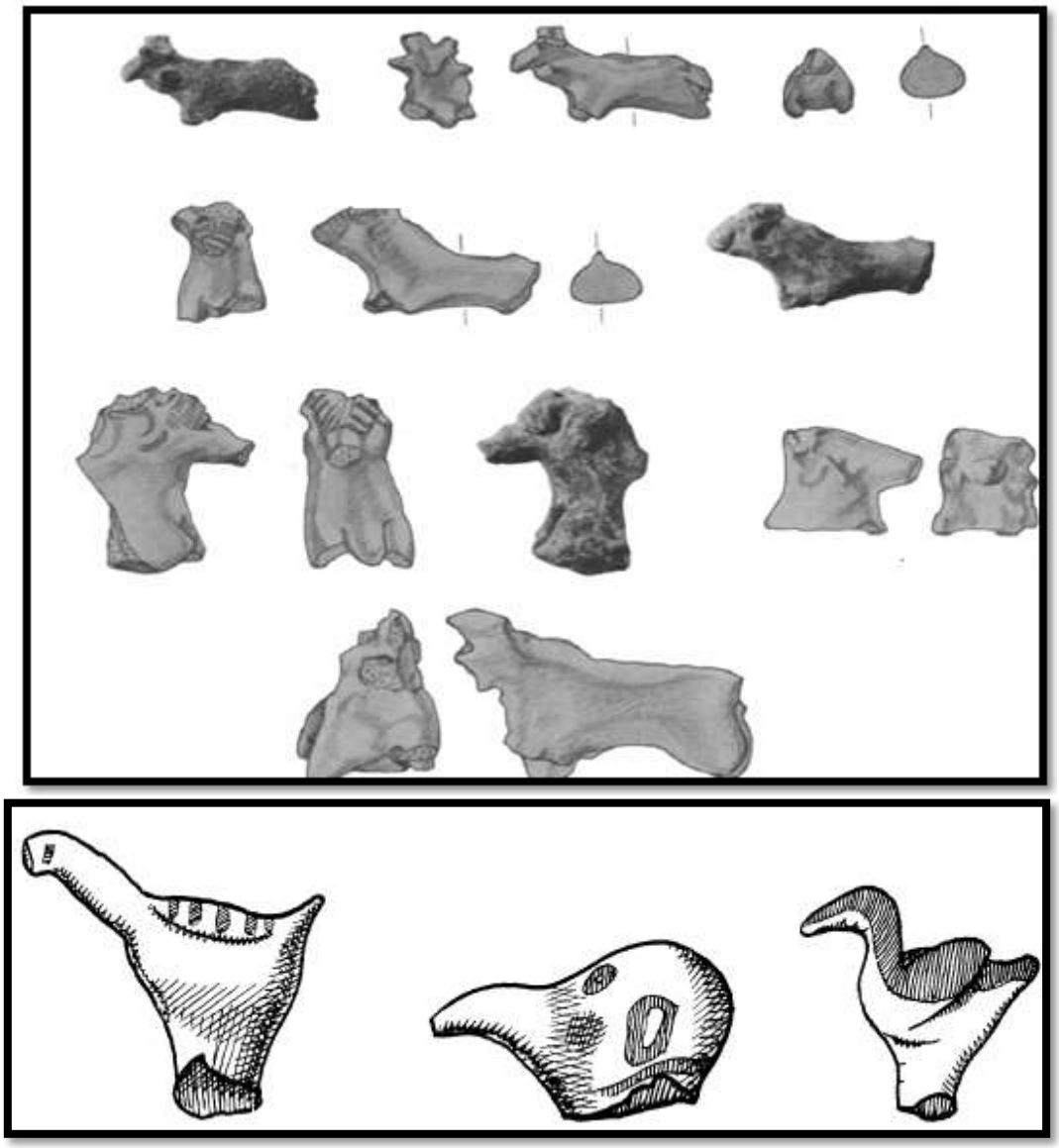

أما تلك التي تعتمد على الشكل الإنساني أو تتخذ صفات الإنسان فهي ذات مغزى ديني أو سحري يضعها في دائرة التماثيل المعبودة. نفذت الاشكال البشرية باسلوب تجريدي، منها ما يمثل ما عرف ب**(الإلهة الأم)**، وسبق وأن ذكرنا أن هذا الشكل الأنثوي غالباً ما ظهر بشكل المرأة العارية السمينة المكتنزة، وهي ترمز إلى الخصوبة والتكاثر.

عثر على مثل هذه الاشكال في العديد من مواقع هذا، مثل موقع أم الدباغية، ينظر الشكل الآتي:

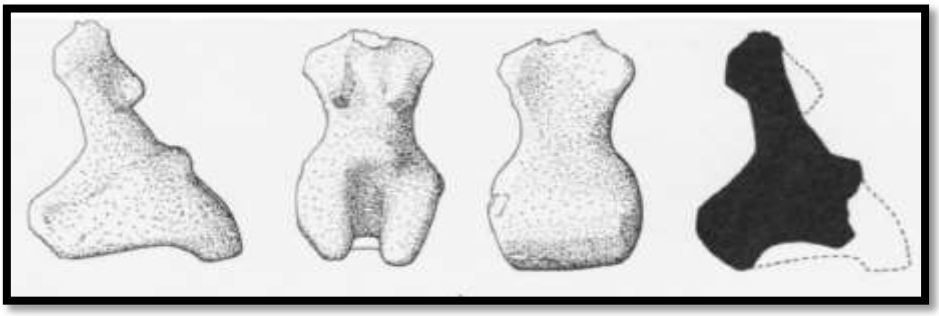

وعثر في موقع جرمو لوحده على أكثر من ٥٠٠٠ آلاف نموذج، وهي تمثل أشكالاً متطورة لنساء وأشكالاً أخرى لحيوانات مصغرة، يمكن تحسس الناحية الجمالية في العديد منها.

ثم تطورت صناعتها إلى أشكال أكثر واقعية ثم جرى تحوير الاشكال لتنحى باتجاه التجرد والرمز بحيث يصعب مع الحالة الأخيرة معرفة مراحل الوصول إلى هذه الدرجة الشديدة من التجريد، وقد أريد في هذا التحوير أن يكون أيضاً نوعاً من أساليب التعبير الفكري تجاه رؤية الاشكال أو نوعاً من اللغة في رؤية الشيء والتعبير عنه. ينظر الشكل الآتي :

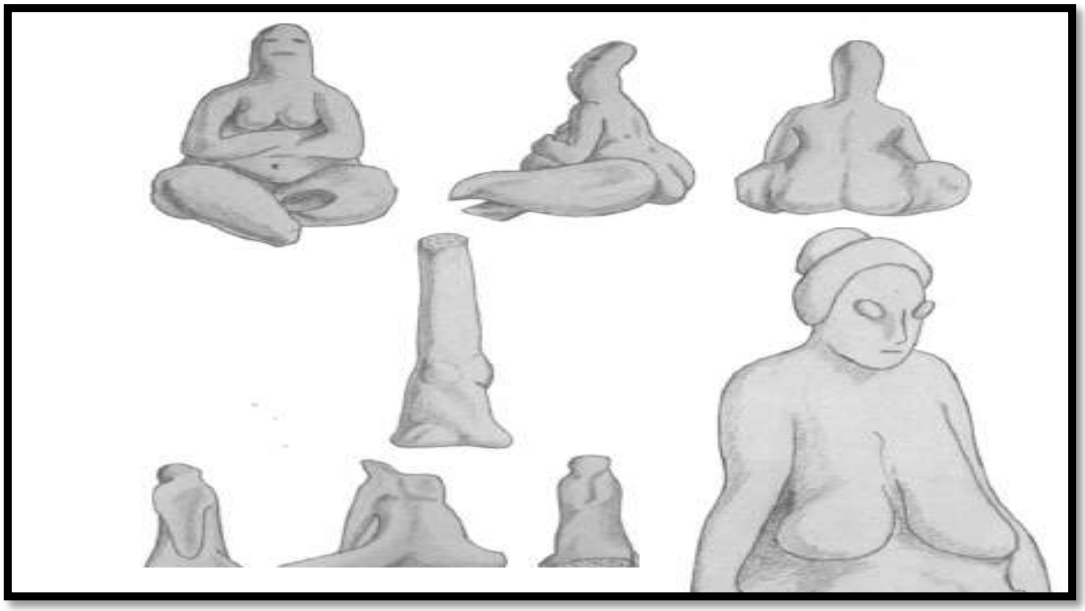

وفي عصر سامراء ظهرت أشكالاً جديدة من الدمى حملت على أجسادها خطوط أفقية، وعلى أكتافها دوائر على شكل قطع طينية صغيرة ربما تمثل تلك الخطوط (وشم) أو ربما تمثل ملابس مزينة بخطوط أفقية، نفذت بأساليب عدة منها الواقعية والتجريدية والرمزية. ينظر الآتي :

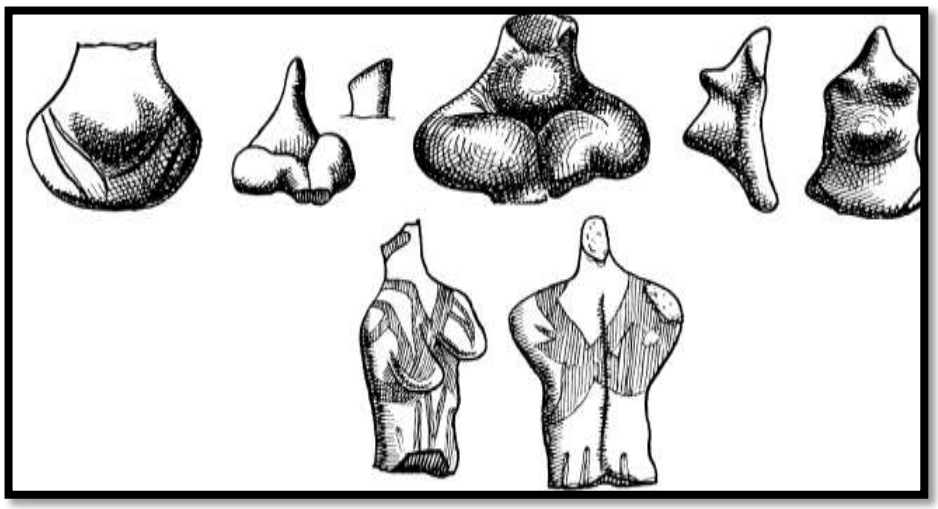

ومن عصر حلف وجدت بعض النماذج المنحوتة من الطين مغطاة بصبغة المغرة، وهي صبغة تميل إلى اللون البني، وجد بعض منها في موقع شاغار بازار في سوريا. ينظر الشكل الآتي :

عموماً كانت التماثيل الطينية البشرية من هذا العصر في الغالب أنثوية مبالغ في التركيز على تضخيم بعض أعضاء الجسم وخاصة الأعضاء ذات الأهمية الجنسية كالصدر والعجز، وهي ذات سرة بارزة وخصر أهيف ومعظمها تكون بوضع قرفصي، وفي قسم منها ينعدم الرأس ويصبح بشكل كتلة مضغوطة ( اسفيني) ويحيط الذراعان بالصدر في الغالب.

فقد ظهرت التماثيل الطينية من موقع الاربجية بوضعيات مختلفة منها الوقوف والجلوس، وتبدو أحياناً متميزة برشاقة غير مألوفة بشكل يوحي بتطور بارز في حرية الحركة، وتبدو ناحية إستخدام الزينة على شكل وشم على اليدين. ومثل هذا يبدو مألوفاً في نماذج أخرى أشهرها النموذج الممثل لإمرأة فلاحة من موقع حسونة فهي تبدو بإمتلائها ووجهها الأصيل وملامح القوة البادية ممثلة لكل رموز المجتمع الزراعي. ينظر الشكل الآتي :

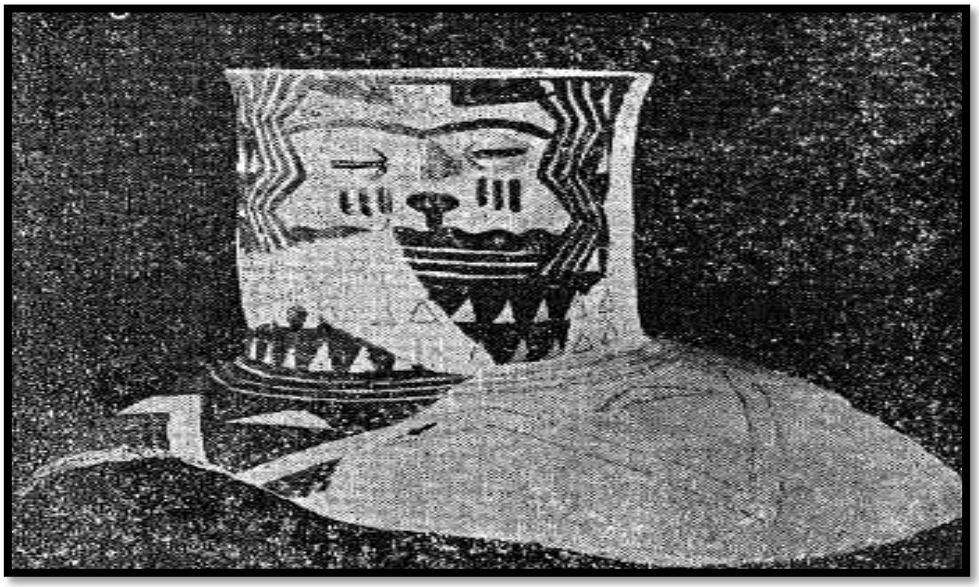

ومن يارم تبة ٢ و٣ عثر على مجموعة من هذه الدمى بأشكال مختلفة، منها دمية تمثل إمراة مضخمة الصدر والورك وهي متماثلة مع الدمى الأنثوية التي ظهرت في تل حلف، ينظر الشكل الآتي :

وهناك دمية مجوفة مقطوعة الرأس، ذات عنق مثقوب من الأعلى وهي مصبوغة باللون البني بخطين إحداهما في الحافة العليا والآخر أسفل العنق يدوران حول كتفي الدمية، واليدان مسترسلتان إلى الجانبين ومطويتان بحركة هادئة لتمسك كل يد بأحد النهدين وتدور حول كل يد ثلاثة خطوط متوازية، وكذلك حدد خط فاصل بين اليدين الملتصقتين على الجسم ليتم فصلهما، ورسمت على الرسغ زخرفة بهيئة أساور تتكون من أفريزين صغيرين يدوان حول الرسغ، وكانت ثلاثة خطوط منقطة في كل جانب متقاطعة تمتد من العنق وحتى الحوض. وقد ميز النحات دميته ببعض السمات بحيث تبدو للناظر أنثوية دون أدنى شك، وتبرز السرة على شكل مربع مصبوغ باللون القهوائي وفي داخله وردة رباعية، وهناك خطوط تتدلى على ظهر الدمية. ينظر الشكل الآتي :

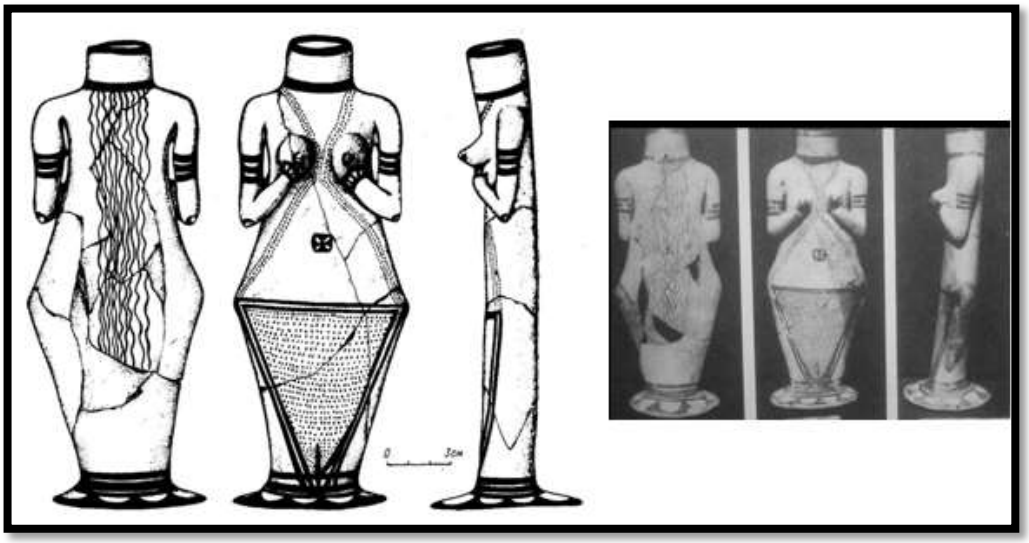

عموماً تميزت الدمى بسمات مختلفة منها أن أغلبها مصنوعة من الطين خشنة وقاعدة منبسطة وللبعض منها سيقان مخلخلة والبعض الآخر ذات صدر شبه المنقار في بروزه. وبعضها ذات جسم مجوف وأخرى مغزلية الشكل وتكون ذات جذع بلا أذرع ولا سيقان والرأس ممثل بنتوء قد يكون قصيراً أو طويلاً، والصدر قليل البروز مع المبالغة في تفاصيل القسم الأسفل من الجسم.

وهناك شكل يشبه الذراع رسم عليه ما يعرف بالصليب الماطي، يشبه كثير من من النماذج التي وجدت في هذا العصر، ينظر الشكل الآتي :

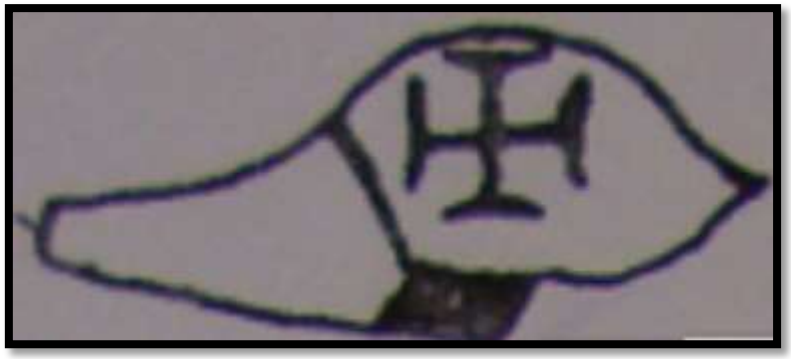

ومن موقع تبة كورا ظهرت دمى صغيرة ذات صدر بارز تعطي ملامح إمراة في وضعية القرفصاء، ويظهر رأس فيه عيون محددة باللون الأسود وتزين الرأس والكتف والأذرع خطوط ملونة، وتفسر الألوان المنفذة على الجسم، بأنها تمثل الوشم والملابس. ينظر الشكل الآتي :

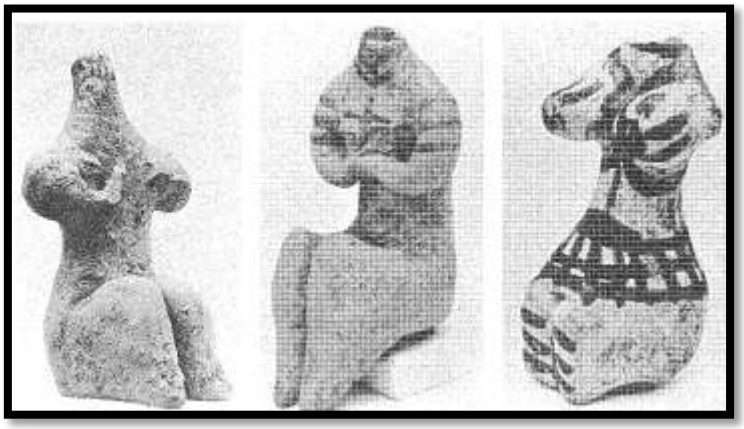

ظهرت عدة تفسيرات حول وظيفة هذه الدمى البشرية، فهناك من يعتقد أن هذه الدمى الطينية تمثل لعب أطفال، بدلالة :

١. لايوجد شكل موحد لهذه الدمى.
٢. عثر على أغلبها في البيوت السكنية.
٣. إن شكل الصدر والعجز المضخمين لا يشيران إلى شيء يخص الخصوبة، لذا من المحتمل أن تكون هناك مبالغة في التنفيذ، كما يجب أن لا يؤخذ التخيل الجمالي الأنثوي دائماً أن له تاثير في تشكيل ملامح العمل الفني.
٤. قياساً على الدليل الاثنولوجي فإن لمثل هذه الدمى استعمالات مختلفة، منها سحرية أو أشياء جميلة تقتنى أو لعب أطفال.

لكن هناك من يرى أنها ترتبط بفكرة العبادة والخصب شأنها في ذلك شأن الولود، لذا مثلت المرأة بأوضاع مختلفة، منها نساء بوضعية الحمل عملها الإنسان لغرض التشبه بالقوى الخلاقة في الطبيعة، وبهذا تكون ذات خصوصية متمثلة بالأمومة والإنتاج، إذ بولغ في تصوير الأعضاء الجنسية تأكيداً لفكرة الخصوبة كالصدر الممتليء الذي يشير لفكرة الغذاء.

وهناك من يعتقد أنها أستعملت كتميمة من قبل المرأة عند المخاض لتساعدها عند الولادة.

وتمثلت **الدمى الحيوانية** في الغالب بحيوانات أليفة مصنوعة معمولة من الطين ومجففة بالشمس، منها الثيران والكلاب والماشية والغزلان والخنازير والفئران والطيور. عثر على بعض منها من موقع الاربجية، تمثل طيوراً ربما حمام، وهي ذات أشكال جميل. ينظر الشكل الآتي :

وهناك نحت فخاري لحيوان القنفذ من موقع الاربجية ، ربما يمثل آنية فخارية لحفظ السوائل، وهو بحالة وقوف، زين الجزء العلوي، وهو الظهر، بمجاميع من الأشواك شكلت بهيئة خطوط جانبية مستعرضة. أما الجزء السفلي الممثل لبطن الحيوان فقد شكل برسم نقاط، ويبرز في أعلى الظهر فوهة كبيرة نسبةً لجسد الحيوان، ينظر الشكل الآتي :

ومن موقع يارم تبة ٢ و٣ ومن موقع قاليج أغا ظهرت أشكال مختلفة لحيوانات منها ماشية بعضها مقرن، ينظر الشكل الآتي :

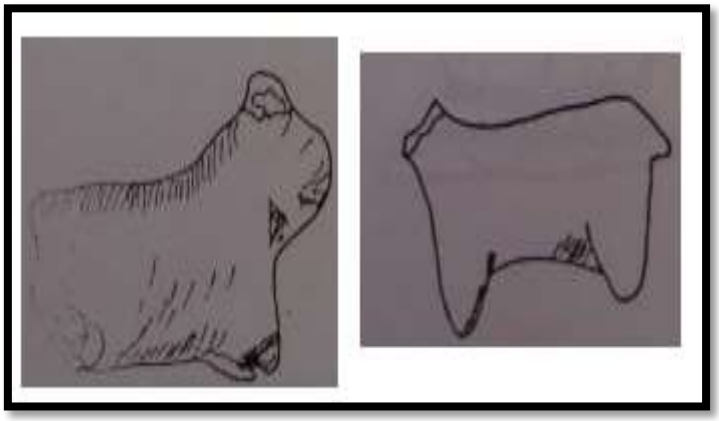

قدمت عدة تفسيرات لهذه الدمى الحيوانية، فمن الباحثين من يعتقد أنها تمثل رمزاً للخصوبة، وهناك من يرى أنها تمثل رموز ذات أهمية دينية وسحرية، فهي من الممكن أن تكون بديلاً عن قرابين نذرية أو ما شابه، أو ربما كانت بمثابة تعاويذ يحملها الشخص فيكون من الصعب الإيقاع به لأنها تنقل له قوة الحيوان. وهناك من يرى أنها ليست سوى لعباً للاطفال.

- **دمى حجرية**

عثر على مجموعة من الدمى والتماثيل الحجرية الصغيرة في تل الصوان قرب سامراء، كانت منحوتة نحتاً دقيقا من الحجر والمرمر الجميل، وتعد من أقدم النماذج التي وصلتنا عن فن النحت المدور. تمثل رجال ونساء وأطفال ولا يتجاوز حجمها ١٥ سم، أغلبها كانت بوضعية الوقوف والقليل منها بوضعية الجلوس، قسم منها ظهر على رأسها طبقة من القير ربما يمثل القير أو لتثبيت شيء ما على الرأس، وبعضها يتزين بقلادة حول الرقبة، وقد أستخدمت كهدايا جنائزية دفنت مع الموتى. نفذت هذه التماثيل بالاسلوب التجريدي.

وعثر كذلك في موقع الاربجية على عدد من نماذج المنحوتات المهمة منها، ما عرف بالإلهة الأم، بالغ فيها النحات في نحت الأَعضاء الجنسية مثل نظيرتها التي عملت من الطين. كما يظهر ذلك الشكل الآتي :

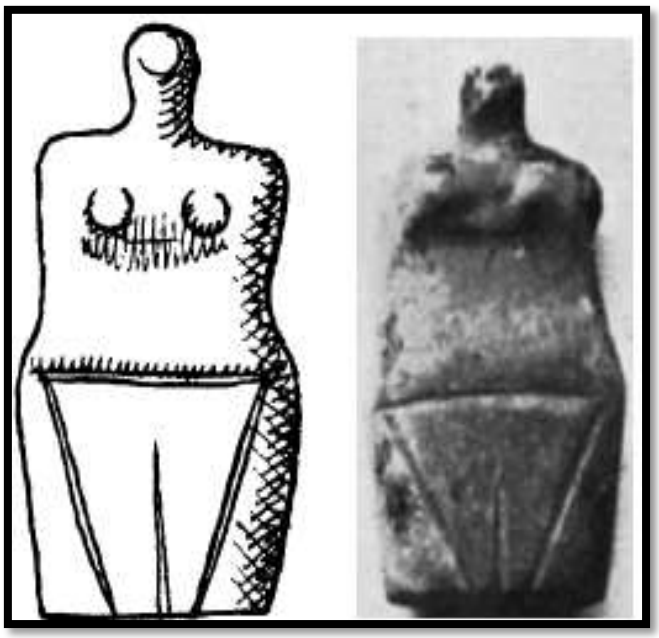

**٥- الأختام المنبسطة والدلايات وطبعات الأختام**

تم إستظهار أعداد كبيرة من الأختام المنبسطة والدلايات، إذ أن الإنسان وبعد إستقراره وإنتاجه لكميات كبيرة من السلع وخاصة في عصر حلف، والتي كان بعض منها مخصص للاستعمال الشخصي وأخرى للتجارة، الأمر الذي دفع الإنسان للشعور بضرورة القيام بتمييز ممتلكاته عن ممتلكات الآخرين إلى إختراع الختم المنبسط، المتمثل بقطع حجرية منقوشة ومثقوبة لغرض التعليق. إستخدام هذه الأختام يؤكد أهمية التعامل التجاري في هذا العصر، وممكن عدها خطوة أولية في التطور الفكري نحو إختراع الكتابة.

عملت هذه الأختام من الحجر الصابوني وأحجار الكالسيت والفرت والكوارتز والحجر الرمادي والسيتايت والكرستال والعظم، والمعادنن ومنها النحاس.

وهي بأنواع مختلفة، منها دلايات بشكل قطرة الماء وتكون مستوية في جانب واحدة ومحدبة في الجانب الأخر وهي مختلفة في التحدب، وتوجد حزوز منقوشة على الجانب المستوي. والنوع الثاني عبارة عن دلايات ذات جوانب ثلاثة مستقيمة أو ذات جوانب منحنية ووجه واحد محدب أو مثلثة ذات وجوه مستوية، وتكون ذات جوانب مستقيمة أو منحنية أو بشكل مثلث مقطوع وللبعض منها ثقب قد يستعمل للتعليق. وهناك دلايات مستطيلة أو قرصية أو مخروطية الشكل، بعضها مثقوب بالوسط، والقرصية ذات مقبض وهي مخروطية محدبة، وهي ذات ثقب طولاني، وهناك دلايات مخروطية ذات ثقب مثبت بعروة يدوية عند القاعدة. وهناك دلايات بشكل رأس ثور، أو حماراً وحشياً.

وعثر على طبعات أختام وهي تمثل الأثر الذي تتركه الأختام عند ضغطها على الطين، وهي ذات شكل بيضوي أو دائري، وعادة عليها ثقوب طولانية، وتحمل سلسلة علامات غير واضحة المعنى. كانت هذه الطبعات تثبت على مادة ما لتدل على مالكها أو لتحديد هويتها.

ظهرت هذه الأختام والدلايات والطبعات في عدة مواقع منها الاربجية وتبة كورا ويارم تبة ٢ وباني هيلك وغيرها. ينظر الاشكال الآتية :

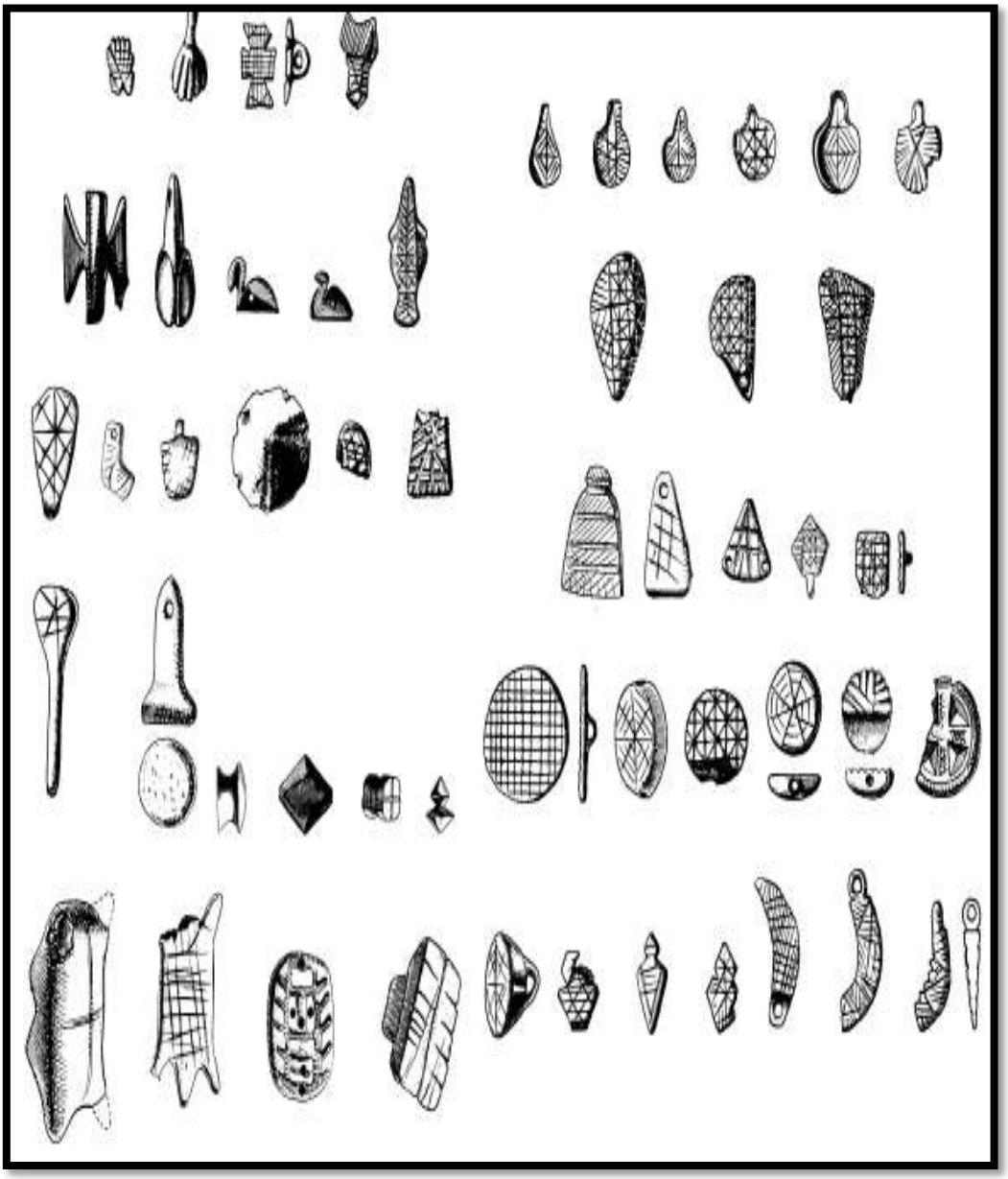

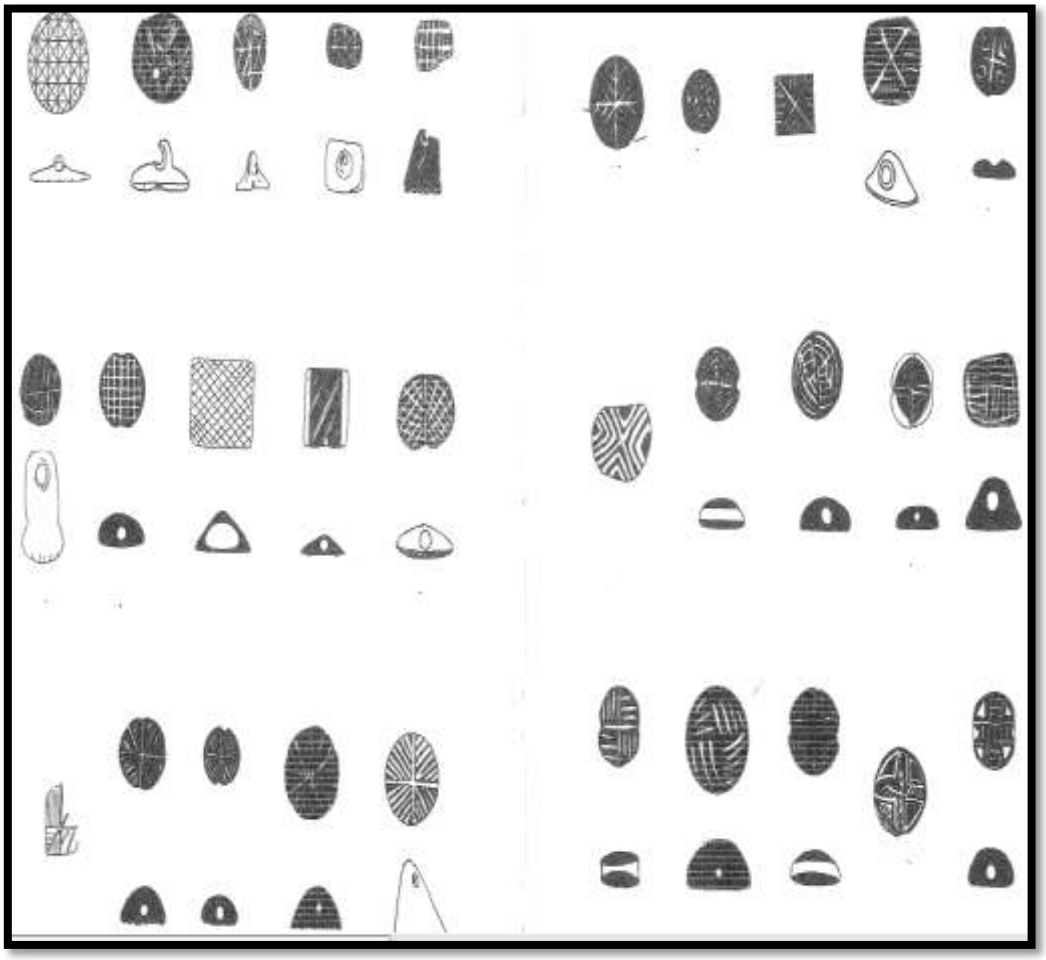

- **النحت البارز**

عثر في موقع أم الدباغية على أقدم قطعتين فخاريتين زينتا بالنحت البارز، حملتا شكل حيوان أو وحش مقرن. يظهر في الأولى نحت لحيوان مقرن، ويلاحظ فيه تناظر القرون مع الساق الأمامية، وربما إحدى السيقان الخلفية. وفي الثانية نحت لحيوان مقرن نحت بدون منظور. ينظر الشكل الآتية:

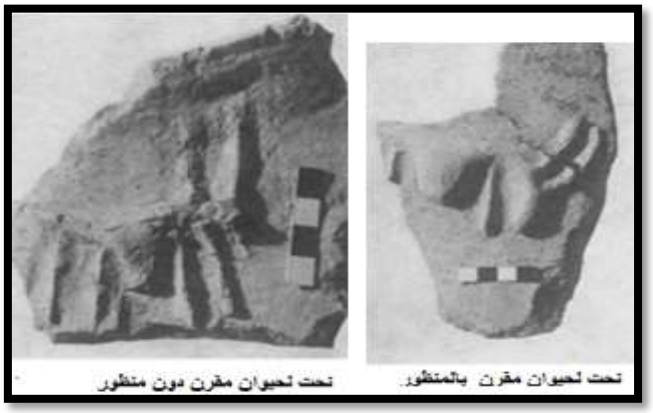


- **الرسم والتلوين**

ظهرت أقدم الرسوم في أعماق كهوف العصور الحجرية القديمة في اوربا، مثلت مشاهد صيد الحيوانات نفذت بأساليب مختلفة، واقعية وتجريدية ورمزية. ربما كانت تمثل إجراءات طقوسية سحرية من أجل السيطرة على الحيوانات أثناء عملية صيدها وهو ما يعرف عند الباحثين بالسحر التشبيهي.

وأقدم النماذج في فن الرسم وجدت في العراق القديم جاءت من موقع أم الدباغية، كانت تزين جدران أحد المباني العامة، إذ تم طلاء الجدران بالطين الناعم، ثم رسمت فوقها أشكال أستخدمت فيها اللونين الأسود والأحمر.

كانت غالبية هذه الرسوم قد تعرضت للتلف، وما بقي منها يمثل عملية صيد لحيوان( الانغر)، وهو نوع من الحمير الوحشي. فضلاً عن حمار الوحش هناك مجموعة من الغزلان والأيائل، والتي تبدو وكأنها مطادرة من الخلف لتقع في كمين نصبه لها عدد من الرجال الذين تصدوا لها بوابل من السهام. لقد نفذ المشهد بنفس أسلوب الرسومات من العصور الحجرية القديمة في كهوف أوربا في فرنسا واسبانيا إلا أنه يعود لمرحلة العصر الحجري الحديث اللاحقة. ينظر الاشكال الآتية:

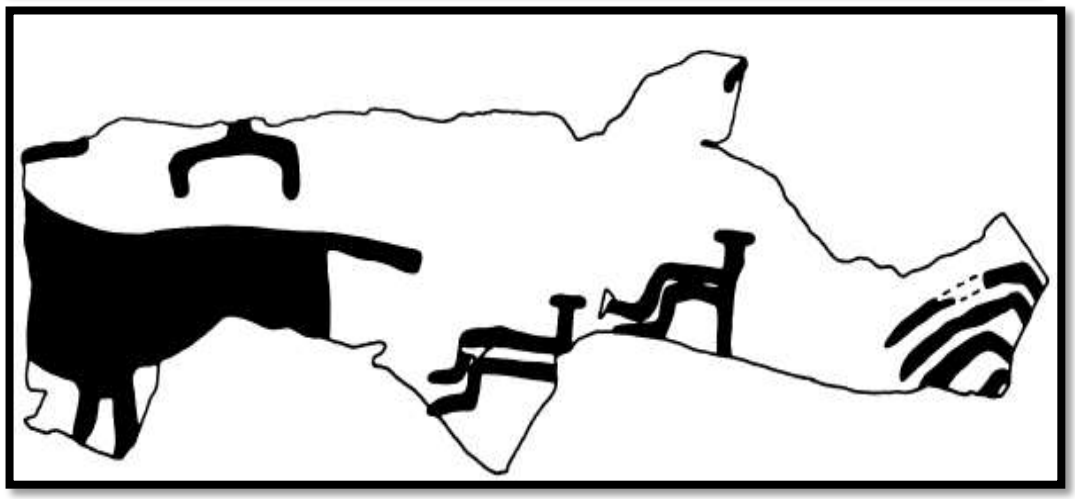

كذلك وجدت رسومات تمثل دوائر وخطوط متموجة ربما ترمز إلى طير العقاب وهو ينقض على طريدة. ينظر الشكل الآتي :

وهناك شكل من عتبة أحد الأبواب ربما يمثل بيوض العنكبوت. ينظر الشكل الآتي :